

أمون

أسطورة الشيطان العابد



أمون

أسطورة التنيطان العابد

رواية

د. تامر عطية

أمون أسطورة الشيطان العابد

اسم الكاتب: د. تامر عطية

تدقيق لغوي: فريق المكتبة العربية

تصميم الغلاف: محمد سعد الشحات

الإخراج الفني: جمال عبدالرحيم

الطبعة / الثانية - يناير ٢٠١٩ م

رقم الإيداع: 2150 / 2019



Arabiclibrary2017@gmail.com

[Facebook.com/arabiclibrary2017](https://www.facebook.com/arabiclibrary2017)

01030365801

جميع الحقوق محفوظة

إهداء

لكل أسطوره الخاصه .
إلى ولدي (عمار)
أسطورتى الجميله،
والخاصه جدا.

سقط..... لِيُعيد الشرَّ إليها من جديد.
لم تكن الأرضُ هي الأرضُ، رغم أنها اكتست برداءٍ يُشبه القديم، لكن
نَسَجَ الطبيعةِ يَأبى أن يتكرر .
كانت أكثر رِحيةً وأشدَّ وحشةً، كانت تنتظره لكنها لم تتخيَّل أبداً أن
يكون بمثل تلك الهيئة.
عَلِمَ مصيره منذ البدء، كان متأكداً أنه الطرف الآخر للمعادلة التي
ستنطلق منها البدايةُ .
بدايةً من يعتقدون أن الكونَمخلوقٌ لأجلهم .
عاش رحلة الصعودِ من قبل، لكن سقطته كانت الأولى ويعلم تماماً أنها
الأخيرة .

لم يتمالك نفسه من البكاء، رغم أنها كانت اختياره من دون أي إجبار.
لم تَزُلْ تلك الرجفة السارية في جسدهِ حتي عندما لامس وجهَ الأرض
تلك التي كان يحفظ كلَّ شبرٍ منها، ولا يعرفها.
تغيَّرت كثيراً، إلا أنها مازالت تملك نفس الرائحةِ .
كانت جراحُها الأولى قد التأمَت وحلَّت جراحُ أخرى، ربما تختلف عن
سابقها، لكنها أبداً ليست رحيمةً.

نَفَضَ بردَ السقوطِ عن جسده المنهك، ورغم أنه يلامس الأرض إلا أنه
لم يستطع منع عينه من الالتفاتِ إلى أعلى، إلى حيث ما لم يعد يراه .
راودته فكرة الرجوع والانحناء، لكن كِبَرُه لم يلبث أن غلبه ثانيةً .
كان يعلم أنه أول من قاس، ولم يدرك أنه أيضاً كان أول من أخطأ في
القياس .

تحاملَ على نفسه ونهضَ، كان الكونُ يتابع ذلك الذي يحمل جمرَةَ
البداية، عيونُ السُّخْبِ، الرياحُ، الأشجارُ وحتى الجبال.
كل الأشياء متأهبةً لتشهدَ بدايةً.....النهاية .

دار في كل العيونِ المرتعدةِ حوله، اقترب من الماء لربما كان النهراً أكثر
رحمة، حين نظري وجه الماءِ أدركَ فِعْلَتَهُ وأدرك سِرَتِكَ النظرة المقيتة في
عيون الأشياءِ من حوله .
صرخَ، في وجه السماءِ صرخةً أجبرت كل العيون على الانغلاق، من وقتها حتى
النهاية.

تحسَّسَ وجهه ثم التفت إلى جسده الذي انشغل بما حوله عنه للحظات:
- لست أنا هذا المسخ .

أين وجهي ؟ أين أجنحتي ؟ أين جسدي ؟

فاض الماء على جانبيه وكأنه يلفظ صورته التي لوَّثت صفحته.

نظري الماء ثانيةً فلم يجد وجهه، دار إلى السماء صارخاً :

- أقسم بك أنت يا من منحتني اللعنة الكاملة أن أجعل أكثر ما يؤذيك

طينتك التي فضَّلْتها عليّ، طينتك التي مسختني لأجله . كان باستطاعتك أن

تُجمِّله لكنك اخترت أن تشوهني ليبدو أجمل، بدأت انتقامك سريعاً جداً،

سرعة لا تتناسب مع الرحمة التي يتوقعها خلُقك .

أقسم أن أتخذ من شعر أقدرمخلوقاتك حجاباً لي .

- التفت إلى النهري-

- أما أنت أيها النهري فساجعلك تفيض بالموتِ مرَّة كل عامٍ على كل من

حولك حتى يكرهوك، ستحمل الموتَ قدرَ ما تحمل الخيزر.

قامَ وغزل من شعر الخيزير حجابهُ، من وقتها لم يروجه كائنٌ قط .

لم يكن مفهوم الوحدة مألوفاً لديه لذا كادت تقتله - رغم أن الموت محرّم عليه -

نارَ وأحرقَ واقتلعَ غابات، ارتجفت الأرض من تحت قدميه، بكت السحب بغزارة حزنًا على أرضها المسكينة .

كانت قد نسيّت تلك القسوة التي خلّقها الماضي، لكنّها عادت أشدّ وألّعن مما سبق، حتى هولم يُدرك أنه يحمل كل ذلك الحقد على كل الأشياء - ماذا جنيتُ؟ الوحدة؟ كراهية الأشياء؟ وجسداً أخشى مجرد النظر إليه؟ لماذا بدأتها؟ ولماذا تركّني أبدأها؟ ألم يكن في استطاعته أن يوقف كل ذلك؟ إنه يريد أن يلهو، إذاً فليكن ما أراد، سأعيشُ إلى أن ينتهي الوقتُ وبعدها

توارد إلى مسامعه صوتٌ ينسَلُّ من بين الأشجار . صوتٌ يتجه ناحيته بحذرٍ، يحمل كل آيات الخوف والرهبة في وجهه لكنه لا يحمل ملامح الحيوان . ظل يتقدم تجاهه، كأن شيئاً خفياً يقوده قصراً تجاه ما يخشاه . يقترب، معالمة تتكشف رويداً رويداً .

نهض واقفاً فسكن الوجودُ، كان أول من استطاع الاقتراب بعد السقوط، وبعد لحظاتٍ من الصمت، عَلِمَأنه ليس الوحيد فوق تلك الأرض .

كان الشكل الذي خرج من بين الأشجار يُدَكِّرُهُ بالماضي .
اعتقدَ أن مَنْ مسخه قد أرسلَ إليه ماضيه ليضايقه، لكن الأشياءَ
كثُرَت وتعاظَم عددها . مئات، بل آلافُ ممن كان على شاكلتهم، قبل أن
يسقط .

هل يمكن أن يُلعنَ كل هذا العدد؟! لماذا ؟
لكنهم مازالوا على هيئتهم الأولى .
تقدم أحدهم بترددٍ وخوفٍ شديدين .
- سيدي . رأينا قوتك حين تغضب، لست مثلنا فالأرض لا تخشانا كما
تخشاك، لا بد أنك..... أنت الله .

تأملهم يسجدون من بعده متتابعين، عليمٌ أنه أحد كبارهم الذي تحدث،
فالملوك تفضحهم ملابسهم، وهو ليس الملك .
- أنتَ الله .

كانت كلماتهم غريبة على مسامعِهِ، كيف له أن يكون لاعنه؟
ورغم أنه يكذبُ كلامهم، إلا أن إحساسَهُ بباب عزلته يفتح وممكن
غروره ينتعش قد أسعده .

لم يتمنَّ شيئاً من هذا، لكن سجدتهم رفَعَت رأسَه إلى السماء، أراد
الاعتراف بعديهِ فتذكر ملامحه الشوهاء، ودَّ لو يشكر لكن غروره أنطقَهُ .
- لم أريوماً خصماً يُكافيءَ غريمَهُ .

ربما أنها المرّة الوحيدة التي لن أعارضك فيها .
لتكن البداية كما أردت، لكن النهاية ستكون كما أريد أنا .

لم يحلم أن يجد من يسجد له من دون عناءٍ، بل لم يكن يريد لها في ذلك الوقت، يبدو أن خصمه يريد له الشعور بالحياة. وجود الآخرين من حولنا يمنحنا الإحساسَ بها، وقد أرادَه حياً ليشعرَ بالنهاية، أو ليعذبه بها .
كانت تلك الكائنات قد أعادت الروحَ إلى جسده الممسوخ .
تبعَ الرؤوسَ المطأطئة إلى حيث يستقر قصر ملكهم .
جال في القصر بعينيه دون أي اهتمامٍ، فقد رأى ما لا يمكن لشيء آخر أن يبهره في السماء .

- سيدي والهي .

التفت خلفه ليرى من هو بشاكلة الملوك يسجد له .

- من أنت؟

: عبدك المطيع (بعل) .

كنت ملكاً للجن الأزرق قبل أن تحط قدمك على أرضك يا ملك الملوك .
- لست الله .

: رأيت ما فعلت سيدي ولا يقدر على مثله إلا من هواله .

- أكره أن أكونه .

: فلتُسمي نفسك ما شئت، كلنا رهن إشارتك .

- (إبليس) هذا اسمي ولم أعرف بسواه .

: مولاي (إبليس) .

- أذكر أشباهكم، لكني لست متيقناً .

: نحن نصف من بقي على الأرض بعد الأسر الأعظم، سيدي .

نفتننا الملائكة إلى الجحور والخرائب والجُزُر المنحّية .

مرّت آلاف السنين إلى أن تحققت النبوءة .

- أي نبوءة تلك ؟

: إله يحط فوق الأرض، يحمل النار في عينيه، تخافه الحياة ولا يهزمه الموت، حين يحط ترجف الأرض، تضع الحرب أوزارها، يقف نرفُ الدماء وينتصر الأزرقُ بأمره .

- أنا !!! أشكالكم تأخذني بعيداً. إنكم تُحيون جزءاً منسياً من الذاكرة عادت به الذاكرة حيث الطفولة . طفولته القديمة، إلى ذكري والديه . : (إبليس)... أرى في عينيك طولَ العمرِ، أراك حياً من دون نهايةٍ، حلبي أخبرني أني سأترك من بعدي من يستحق البقاء، فلتكن أنت الباقي .
- إلى أين أنت ذاهبٌ يا والدي ؟

: إلى حيث يجب أن أذهب، ربما أعود، وقتها ستكون الأرض كلها ملكك .
- هل ستحاربهم؟

: لم تعد الأرض تتحمل أكثر من جنس واحدٍ .
تحسس أجنحته الأربعة وغاص في بحر عينيه الزرقاوتين .
: مهما حملت الأيام لك يا ولدي فاعلم أنني.....أحبك .
ضاقت الأرض على صنفها الأحمر والأزرق. استنفذت كل محاولات التواجد دون احتياج فناء الآخر؛ ولا جدوى، وجبت الدماء حين التفت كل من الجنسين لأصله وذكاه على الآخر، كانت حرباً لا يمكن للتاريخ أن يعيدها، فقد كادت الأرض أن تهلك تماماً، لقاء المتعادلين عادةً هو الأقوي والأطول والأكثر وحشية .

أبيدت مدن لم يكن أحد ليصدق فناءها، أطفأها الماء وغاصت في قلب الأرض، كان لكلٍ منهما القدرة على الرد فاستحال الوجود إلى ما يشبه الجحيم. لم يتوقف أيُّ الفريقين حتي لم يعد لأحدهما - إذا ما انتصر- شيئاً يفوز به.

ملايين لا عدد لها انتهوا في محرقة الحرب، حتي التاج الذي بدأ لأجله كل شيء أكلته النار، استوتِ الجبالُ، تبخرَ الماء، وبات الزرع محض ماضٍ، حتي السُحُب ارتوت بالسواد فمات الصُبْحُ، وغرقت الأرضُ في الظلام كأنها لم تُخلق بعد .

آلاف السنين، لم تضع الحرب أوزارها، (إبليس) يكبر على وجه الأرض تغطيه الدماء، حتى تلون بالأحمر رغم أنه من الزُرق . آلاف المبعوثين من السماء يحدّرونهم غضبتهم، لكن أنهارَ الدماء لم تتوقف للحظة، بدا أنهم قد نسوها وعادوا إلى سيرتهم الهالكة إلى أن غضبت وفُتحت أبوابها على مصراعها .

ملايين من مبعوثي السماء بملابس الحرب يجمعهم هدف واحد - التطهير .

كان الأمر أعظم من أن يوصف، فغضبة السماء أقوى من أي وصفٍ، وأجنحة مبعوثها أحدٌ وأقصى من أن تصدها دروع الجن، تجرأ والد (إبليس) وأطلق سهمه الأخير نحو السماء، وقف كبير الملائكة غاضباً فوق الماء، رفر ف بأجنحته فأهاج البحر وأغرق نصفَ الأرض فأهلكها. سجدوا صاغرين، أسرت الملائكة منهم من أسروا، وطردها الباقين إلى خرائب الأرض وجزرها المنحية لتتطهر من رجسهم، لم تفرّق الملائكةُ بين الجنسين، فلم تكن تلك الحرب لحقٍ وباطلٍ، الكلُّ أفسدَ في الأرض، الكل يستحقُ الفناء .

حين رأى والده غارقاً في دمه لم يجد فرصةً للصراخ، فقد كان ضمن المكبّلين للصعود إلى المنفى العلوي، كان واحداً ممن أُسروا في الأسر الأعظم .

استعاد واقعه متأملاً (بعل)، الساجد أمامه .

- هل تعلم أنني كنت أقرب من أُسروا إلى الله ؟

: سيدي.... كل ما أعلمه الآن هو أنك (إبليس) .

صاح بصوته الجمهوري، المنبعث من أعماق الجحيم :
-أنا (إبليس). مَنْ لم يترك شبراً في السموات ولا الأراضى السبع، إلا
وسجد فيها لله، والآن وبعد كل هذا أَلْعَنُ ممن سجدت له بعددِ سجداًتي؟
لأجل سجدةٍ واحدةٍ رفضتُ أن أسجدها لعنني، هل في ذلك عدلٌ ؟
كان صوت (إبليس) مرعباً، حتى أن الكلمات تَيَبَّسَتْ على شفاةِ (بعل)
فخرجت متناقلةً مرتعدةً .

: أنت العدل سيدي .

بدأت الثورةُ في عيني (إبليس) تخفت:

-وأنت تُحسِنُ الكلام .

: عبدك سيدي .

- ألا تعبدون الله ؟

: لم أَرَهُ إلا فيك أنت .

- يبدو أنه نسى من خلقهم من قبل حتى نسوه. عموماً لا أحب أن أحمل

اسمه، إنني عدوُّه الباقي حتى النهاية.

: أمرك سيدي لن أُحمِلَكَ اسمه .

- فقط (إبليس) .

: ملك الملوك (إبليس) .

ضحك لأول مرة منذ السقوط، كان يظن أنه لن يفعلها أبداً .

- هيا، يبدو أنني قد فاتني الكثيرُ، منذ أن صعدت وانشغلت بسجداًتي

ساذجةٍ لم تغفر لي؛ أن أجادله في واحدةٍ . هيا، أحبُّ أن اعرف ما فاتني حتى

لحظتنا .

بعد الأسر الأعظم هدأت الأرض، فهي بدون العاقلين في أمانٍ، بدأت تسترد عافيتها شيئاً فشيئاً، لم يُعدّ عليها من يُعطلّ إنباتها، يردم أنهارها، ويهدم جبالها، مُنحت الطبيعة حريتها كاملةً، بدأت الدماء تجري في أوردها، وعرف الهدوء طريقه إليها مرةً أخرى، حيث عاش كلُّ من كُتب عليه الفرار من الأسر الأعظم خائفاً، مزوياً في الجزر المنحوية والخرائب، إلى أن تماسك (بعل)، وجرؤ على إخراج عينيه من جحره ليرى الشمس التي غابت طويلاً: تشتعل ثانيةً .

أخرج أذنيه، سمع صوت الطيور ينبت من جديدٍ، كان يعرف الأرض التي عاش عليها من قبل، حين واجهها كانت كل بقايا خوفه قد ذابت، فقط لأنه أمنها .

تجرأ وخرج إلى النور، لم يبق من رائحة الدم شيئاً، وبقيت الرائحة التي عرفها من قبل، كأن الأرض اغتسلت وتطهرت، عادت إليها روحها ووجهها الذي أحبه قبل النهاية الأولى .

شعر بأن اللحظة قد حانت لتغمر أشعة الشمس جسده الأزرق مرةً أخرى . الأزرق السيد .

صعد إلى أعلى قمم الجبال مستجمعاً كل قواه في صرخة:

- اخرجوا إلى النور .

مرّ وقتٌ ليس بالقليل ليفعلها البعض، فما حدث من قبل لم يكن

ليُنسى بسهولة .

وفي النهاية زال الخوف، بدأت الأرض تحمل همّ من عليها من جديد .

لم يكن هناك أي بديلٍ للسلام فالأخر لم يكن موجوداً إلى أن تجرأ

(خور) وواجه الأرض مرةً أخرى: هو ومن بقي معه من الجن الأحمر .

نظر إلى الشمس ولَوَّنَهَا بلونه، فعَلِمَ الوجود أنهم قد عادوا، كثر نسله إلى أن عاد ونادى بتاجِ أجداده، ذلك التاج الذي قتلَ الأرضَ ومَن عليها من قبل . مات السلامُ مع أولِ سهمٍ مسمومٍ في قلبِ ابنِ (بعل) الأكبر، كُتِبَ على طرفه - الأرضُ للأحمر - .

من وقفها والأرضُ تئنُّ تحت وطأةِ الحربِ من جديد، تنتظر من يوقف أنهار الدم، أو أسراً يشبه الماضي.

ربما كان (إبليس) هو الوحيدُ الذي لا يؤمن بنبوءة الخلاصِ على يده الطافحة بالكرامية، لكنها تحققت.

حلَّ الهدوءُ واستكانت الحياة، بعد أن علقَ (إبليس) بيده رأسَ (خور) فوق أسوار القصر.

لم يصمد الأحمرُ لحظات في وجه مبعوث النار، حتى أن (إبليس) نفسه لم يكن يتوقع أن غضبته قويةٌ إلى مثل ذلك الحد .

لم يكن الجنُّ أبداً من أعدائه. إنه (ابن الطين)، رغم ذلك صبَّ جامٌ غضبه على فرقةٍ من بني جنسه، ليس حباً في الفريق الآخر ولا انتماءً له، فلم تعد فكرةُ الانتماءِ ذاتها تجولُ بخاطره بعد أن كُتِبَ عليه ما قد كُتِبَ، ربما لأنه قابلهم أولاً فقط، ربما سجودهم الذي أسعده وقتها، أو ليستكشف ما يحويه من قوةٍ وقسوةٍ، بداخل جسده الممسوخ. لا بد من ضحايا ليعلم إلى أي مدى يستطيع الاستمرار، كانت حربُه تشبه نزهته، استمرراً فيها سحقَ الأحمرِ وحده، صبَّ ناره فوق رؤسهم فلم تُفلت منهم أحداً، سقطت آخر مدتهم وأكبرها في ليلة . ملَّمَ السُحْبَ فوقها، أمرها أن تمطر ثلجاً فانطفأت نارُ كل من فيها، عدلَ خصمه ومنحه أكثر مما كان يتوقع من القوة، لا لشيءٍ إلا أن

غريمه شديد القوى، تأكد أنه مُنح ناراً فوق ناره، ناراً أصلها الجحيم، وليست تلك التي خُلِقَ منها، صار يتشكّل في أي صورةٍ شاء، طيراً كان أو حيوان، حتى الإنسان من بعد، فصار الكونُ في مناله.

تركَ كلَّ شيءٍ واتخذ لنفسه عرشاً فوق إحدى الجزر المنحيّة، لا يعلم مكانه إلا غريمه، كان يعلم أنه ليس نداً ولن يكون، لكنه يدركُ أنه يستطيع إثارة غضبه على أحبِّ مخلوقاته وأقربهم لقلبه، أقسمَ أن يكسر قلبه ولو كلفه الأمر كل شر الدنيا .

بدأها عند الشجرة. شجرة التفاح التي أسقطت (ابن الطين) إلى أرضه. لم يقاوم (ابن الطين) طويلاً، سقطَ إلى حيث ينتظره (إبليس) محملاً بكرهية أكبر من مسافة سقوطه؛ من السماء للأرض.

زاد نسلُ (ابن الطين)، فكان لا بد ل(إبليس) أن يعود من عزلته التي عاشها فترةً، عاد حيث ولى (بعل) المُلْك على أرض الجن.

رفع رأس (بعل) الساجد له بإصبعه

- أراك مستمتعاً بتفردك أيها الملك .

: سيدي أنت من وهبتي المُلْك وأنت القادرُ على نزعته مني .

- حان الوقت يا (بعل) لأنشيء مملكتي الخاصة .

: كلنا ملكك يا سيدي .

- لستم أهلاً لتحملوا اسمي .

: أمرُك سيدي .

- احضري أجمل بناتك وأصباهن، سأختار منهن زوجةً تحمل أبنائي،

أبدأ من عندها كل شيء .

ثوانٍ معدودةٍ، اصطفت آلاف البنات في رقة الندي وبياض الثلج،

نارهن نورٌ، ونورهن لا ينبغي إلا للهور، بأثوابهن الزرقاء الشفافة، تبين ما لا

يمكن أن يوصفَ من مفاتن الجسد، وجوههن راکعةً من دون ركوعٍ،
وأجنحتهن ساكنةٌ من دون قيدٍ، لكنه يبحث عن البداية لا الحب الذي ماتَ
ولم يتحمَّل رحلةَ السقوطِ معه .

- مَنْ منكن تستحق أن تحمل أبنائي ؟

تقدّم منهن من تحررت من الخوفِ فكُنَّ تقريباً النصفَ .

- مَنْ منكن ستستغني عن العالم بي ؟

لم يتغلب البعضُ على الخوفِ فبقى أقل من النصف .

- من منكن ستحمل كراهيتي لكل الأشياء ؟

لم يبق إلا القليل منهن، فقد كان صوت (إبليس) يتشعّب بالرعبِ في كل
مرةٍ أكثر، وأكثر.

- من منكن ستتحمل غضبتي ؟

بقيت واحدةً، تزيد في جمالها عن الصباحات المسكرة، أشار إليها
بإصبعه أن تقدّمي، تقدمت ببطءٍ متردِّدٍ .

- هل تعلمين من أكون ؟

لم ترفع عينها من الأرض، أجابت بصوت خفيضٍ بدا ثابتاً لغير
(إبليس) .

: أنت ملكُ الملوكِ .

- هل رأيتِ غضبتي ؟

: إن رأيتها فأنا أستحقها .

- ما اسمك ؟

: عبدتك المطيعةُ (ميركوفيس) .

نظر إلى (بعل) مبتسماً ابتساماً لا تقلل من جحيم عينيه .

- كنت أعلم أنك تستحقها أيها الملك .

شبق الوجودُ مع تحرر أول أبناء (إبليس) من رحم (ميركو). وذلك في الليلة الأولى، حيث ينجب (إبليس) ابناً في كل يوم . ارتسمت ابتساماً راضيةً على وجهها، أضاءت الكونَ بحاله، لم تكن تتخيّل أجمل مما تقع عينُها عليه لحظتها .

وقتها ودّت لو أماطت اللثامَ من حول وجه (إبليس) وقبّلتَه قبلةً؛ تحمّلها كل ما يعتملُ بقلبها من سعادةٍ، لكن الجمرات الملتهبة في عيني (إبليس) حين رأى أول أبنائه أوقفت قلبها عن النبض، لم تجرؤ أن تسأله إلى أين أنت ذاهبٌ بولدي؟ .

في الخلاء تأمّل (إبليس) ابنه الأول، رفعه كاشفاً وجهه إلى السماء فبدا ملاكاً حقيقياً من دون مبالغاتٍ .

- أبقيت على نطفتي الجنينة رغم أنك مسختني . لماذا؟

هل تعابرنى بما جعلتني عليه؟ تريدني أن أتذكر كيف كنت وكيف صرتُ؟

لن أدعك تستمتع بألمي كلما أنجبت أطفالاً .

أقسم بك أنت، أنت ولا أحد غيرك، أن أمسخ أولادي وأخصيمهم . سأبقي على بناتي في صورهن، سأأخذ منهن زوجات علي عكس إرادتك، سأعيش ما قد كتبت على من عمركما أريد، ولن أمنحك متعةً إيلا مني أبداً.....أبداً .

عندما ألقى بولده مرّة أخرى بين ذراعي (ميركو)، صرخت صرخةً التصقت بالسماء، كادت أن تشقّها، الغريب أن (إبليس) لم يعلّق وغاب في الصمت، أخذت (ميركو) تنوح وتبكي إلى أن جفّت عيناها، قبل أن يغادرها (إبليس) التفت إليها قائلاً ببرودة الجليد .

- سيكون اسمه (سيرايل) .

تجهّزي، سوف تُمنحين آخر بعد يوم .

صَمَدَ (ابن الطين) سنواتٍ وسنواتٍ، كَثُرَ نَسْلُهُ، بذل (إبليس) كلَّ ما بوسعه ولم يُقَصِّرِ مطلقاً، بقى الرهان معلقٌ بين السماء والأرض .
كَثُرَ نَسْلُ (إبليس)، كان ينجب من زوجته وبناته طفلاً من كلِّ، في كل يوم يدور عليهم جميعاً، فقد ملَكَ الوقتَ بأمرِ غريمه حتى صار يومُهُ بمئة ألف سنة أو يزيد .

أصبح (سيرايل) هو مسؤلُ المَسْلُخِ الذي شَيَّدَهُ (إبليس) بنفسِه، ليمسُخَ أبنائَه الذكور، يخصصهم ويعيد نحت وجوههم من جديد .
مرَّ الوقتُ وصار عرشُ (إبليس) محاطاً بعددٍ لا يُحصى من أبنائه .

: مولاي (إبليس) .

- تكلم يا (سيرايل) .

: زاد النسلُ ولم أعد أملك أسماءً أمتحها أبنائك، سيدي .

- جفَّ بئرُ الشرِّ من الأسماءِ؟

: لم تعد هناك لفظَةٌ واحدةً، تحمل الشرَّ، لم أمتحها أحد أبنائك .

- لا تمتحهم أسماءً بعد الآن إلى أن ينبت شرٌّ جديد .

: سيظلون بلا أسماءٍ سيدي ؟

- الشياطين شياطين من دون تمييز . افعل ما أمركُ به .

: أمركُ مولاي لكن لكن.....

- هات ما عندك . كم من أبنائي قد ماتوا في المسلخ ؟

: إنه يوم مشؤم سيدي . لم تنج إلا ابنة (ميركو) .

- ماتت الإناثُ أيضاً؟!!

: نعم سيدي، ماتت الإناثُ أيضاً . إنه يومٌ لم أشهد مثله من قبل .

- إنه يحزّم على جماع زوجاتي ليلة اكتمال القمر . ربما أراد أن يمنحها تلك الليلة وحدها .

ليكن . لقد منحني الكثير فلا ضير من بعض الراحة، ليكن اسمها (ميروفيليس) . لا بد أنّها مختلفة مادام قد أراد لها الحياة بينما لم يُردها للأخرين، اعني بها جيداً يا (سيرا ئيل) . أشعر أنّها تحمل رسالة أريد أن أعرفها .
: مولاي.....

قالها وهو ينحني متراجعاً .
- اغرب عن وجهي، لم أعد أريد الكلام .
: أمرك سيدي .

مرّت سنواتٌ وسنوات من الصراع الهاديء بين (إبليس) و(ابن الطين)، تناصف فيها الفريقان النصّر والهزيمة، كان الكونُ يسير إلى منتهاه دونما أحداثٍ كبرى، حتى بدت الحياة بلا طعمٍ ولا حكمة للوجود بتاتاً .
ولكن لكل هدوءٍ ثورةٌ غير محسوبة، فالكون لا يعرف الثبات وإلا لبقى الفريقان بالسماء وانتهت .

(ميركو) أولى زوجات (إبليس) أصابها ما يصيب النساء طيناً كُنَّ أو نار، أرسلت في طلب ابنها (سيرا ئيل) فجاءها مسرعاً .

: (سيرا ئيل)...أما زلت مطيعاً لأمك ؟

= أنتِ الأولى من بعد أبي .

: وهل يرضيك ما يفعله أبوك بأمك ؟

= أمي لا أفهم شيئاً مما تقولين .

: إنّ والدك يخونني .

ضحك (سيرايل) بشدةٍ حتى بدا أنه لن يتوقف فاضطرت لمقاطعته:

: تضحك ؟

= أمي، إن (إبليس) هو من أوجدَ معنى الخيانةِ وعَلَّمه (أبناءَ الطين)،

فهل تلومينه على الذي سقط لأجله؟!؟

: (إبليس) لم يعد يحبني كما كان . لم أعد الأولى يا ولدي .

= وهل يحب (إبليس)؟!؟

: هذا ما كنت أظنه . أنه لا يحب .

= وما الجديد؟

: أصبح يفضِّل علىَّ أخرى، لدرجة أنه..... يحبُّها .

= (إبليس) يُحب؟!؟

: نعم إنَّه ينسى كراهيته لكل شيءٍ، يتناسى ما هبط لأجله حين يختلي

بابنتي (ميروفيليس)، وجوده عندها يذكر نارَه وينسيه ما قد جُعِلَ لأجله .

= (ميرو) ؟

: نعم (سيرايل) . (ميرو) التي أوجدتها أنا . (ميرو) التي أخذته من كل

زوجاته حتى أنا، أصلُ كل شيءٍ.

= أمي، إن ما في رأسك أفكاراً جيّية، ليست من أصل الشيطان في شيء .

ربما تكون قريبةً له، لأنها الوحيدةُ التي خرج بها يوم مات كلُّ أبنائه؛

الذين أنجيمهم ليلتها، لذا شعر أنها مختلفةٌ . أذكرُ ظنَّه وقتها، أنها تحمل رسالةً

من غريمه أراد أن يعرفها . أعلم أن يومَ اكتمال القمر يكون كله لها، لكنه

فهم الرسالة هكذا، أمّا الحب ... فلا أعتقد أن صدرَ أبي يحوي قلباً يعذِّبه

الحب .

: يومٌ كاملٌ، يتوقف فيه عن الحياة إلا معها، أنت لا تعلم كيف تشعر

المرأةُ برجلها، وكيف تحترق الزوجةُ حين يفضِّل عليها أخرى، فما بالك إن

كانت قطعةً منها، يستغني عن الكل بالجزء !! ، أقسم أن اقتل نفسي إذا لم تُطعنِ يا (سيرايل) .

= تقتلين نفسك يا أمي؟!....ألهدا الحد يغضبك الأمر؟
: وأكثر. أنت لم تمتلك واحدةً، لترى النار تشتعلُ بها، حين تحبَ غيرها .
= أمي لا أتحمل أملكِ أبداً. مُريني تجديني طائعاً، إن كان هذا سيمحو
الملك .

: متى تضع (ميرو) ابنتها القادم ؟
= بعد غروبِ الشمس، عند اكتمالِ القمر. ولكن لماذا ؟
: اسمع ما أقوله لك ولا تجادل . هذا....إن كنتَ لا أزال أمك .

رغم أن ما طلبته (ميركو) لم يكن مألوفاً، بل ولم يكن مفهوماً، لكنه نفذه على أكمل وجه، كان يعلم علمَ اليقين مصيره إن علم (إبليس) سرهما .
سيغمره في ماء (النيل) إلى أن تنطفئ ناره دون أي رحمة .
كان يقامر بشعلة اللهب في جسده، لكن لأجل (ميركو) أخذ ابن (ميرو) بعيداً عن عين أمه و(إبليس)، لم يمسخه لبيقيه على صورته الجنية، بل وأخبر (إبليس) أن ولد (ميرو) قد مات في المسلخ .
لم يردعه ذلك الغضب الطافح من عيني (إبليس) الذي رآه لأول مرة حين أخبره بموت أحد أبنائه، رغم أنها لم تكن الأولى لكنها كانت مختلفةً، ستألم (ميرو) وذلك كل ما في الأمر .
كان يعلم أن هناك حدثاً فارقاً تُمد له (ميركو)، لكنه يحيا ويخشى أن تقتل نفسها فقد بدت له في غاية الصدق، لكن أكثر ما أثار عجبهُ أمر أمه بالألا يعلمه الكلام .

مرّت السنوات لا تأبه لأيّ ممن تحملهم الأرضُ، فالوقتُ لا يرحم . ما يقرب من العشرين عاماً مضت كلمح البصر، حدث خلاله ما حدث .
ومرّةً أخرى بعثت (ميركو) في طلب (سيرايل) فجاءها .
: كيف حال ابن (ميرو)؟
= صار شاباً يافعاً .

هل تعلمين يا أمي ؟ لم أستطع منع نفسي من كراهية (إبليس) كلما نظرتُ إليه .

اكتمالُ البدر في وجهه الناعم، ذلك السحر الذي سكبته السماءُ في زُرقة عينيه، لهيبُ خُلقتِه المستعرُ فوق شفّتيه الحمراوتين، نسجُ خصلات شعره الذهبي، وكأنها تنبتُ من قرص الشمسِ، ونحّتُ جسده الشديدُ الدقة والروعة .

كل ما فيه يُجبرني أن أكره مَنْ حرمني تلك الخُلقة الرائعة . حتى أنني سألتُ نفسي مراراً لماذا يمسحُ أبناؤه ؟ إنه شيء بينه وبين غريمه، فما ذنبُ أبناؤه أن يحملوا إثم العداة المطلق بينهما ؟

بدت أوصافُ ابن (ميرو) غير ذات قيمةٍ عند (ميركو) .

: لم تعلّمه الكلامَ كما أمرتك ؟

= أبدأً أمي . ولكن ماذا بعد ؟

: لقد حان الوقتُ يا بُني، اليوم يوم القمر .

= ما قصدك ؟

: اذهب الآن إلي (ميرو) واسألها إن كانت تؤدُّ رؤيةً أحد ابنائها شاباً في

صورتِه الأولى، صورته الجنيّة، أم لا .

= ماذا ؟!! أي شيءٍ تدبرينه يا (ميركو) ؟

لو علم (إبليس) ستكون.....

: سأُعلمه أنا بنفسِي .

= (ميركو).....

: اذهب يا (سيرايل). اذهب يا ولدي . لأجل أمك التي تموت كل يوم
ألف مرّة .

ربما أن (سيرايل) كان قد اعتادَ عدم فهمه لأمه، لكن كل الدلالات
تشيرُ إلى أنَّ القادمَ لا يحمل الخير أبداً ل(ميرو) وابنها، وربما له هو وأمّه، وقد
تكون تلك اللمعةُ الحارقةُ في عيني (ميركو) هي أقوى الدلالاتِ .

- ليس كل ما يُقال حقيقة - يبدو أن (ميرو) كانت تحفظ تلك الجملة
جيداً، لأنها لم تصدق كلمةً واحدةً من (سيرايل)، ولم تزل غير مصدِّقة حتي
وهي تنتظرُ اكتمالَ القمر ليلتها؛ ليدخل عليها أحدُ أبنائها بعد أن اكتملت
صورته الجنِّيَّة .

لم تكن علاقتها ب(سيرايل) قويَّة، وأيضاً لم تكن سيِّئة، لكن قلبها كان
يغزوه إحساسٌ عجيبٌ من عدم الأمان . حين أطلَّ القمرُ دقَّ البابَ ودقَّ قلبها .
: ادخل .

انتصب أمام بابها كملاكٍ هبطَ من السماء، أضاء عليها غرفتها بل
والكونَ من حولها، لم تستهلك وقتاً لتعلم أنه ابنها من دون مسخٍ .
: ولدي؟

لم يفهم كلمتها، ظهر عليه التعجُّب الشديدُ .

: أنت ولدي . عرفتك بقلبي .

ارتمت عليه كأنها لم تلد إله، تقبَّله وتضمه إليها في شوقٍ شديدٍ،
أجلسته إليها واحتوته بكل ما فيه .

لَمْ لَا تَتَكَلَّمْ يَا بَنِي ؟

أنا أمك . أمك التي ولدتك . ألم يخبرك (سيرايل) عني ؟
لاحظت (ميرو) ، أن (سيرايل) لم يدخل الحجره ، مع ولدِها .
أين (سيرايل) يا ولدي ؟ أريد أن أشكر له صنيعه الذي لن أنساه ما

انفتح الباب بقسوةٍ، خلعت قلبها، ظهرَ (إبليسُ) واقفاً أمام الباب
ليسدّه في وجهها .

حين وقع نظره عليهما، اشتعلت عيناه بقسوةٍ، لم تُشهد عليه من قبل،
ربما كانت تشبه تلك التي واجهَ الأرضَ بها، لحظةً أن سقط . لكن، من شهدها
وقتها ؟

من وراءه ظهرَ (سيرايل)، الذي أغمضَ عينيه، وأمسكَ لسانه تماماً .
حاولت (ميرو) أن تنطق، لكن لسانها احترق قبل أن ينطقَ بكلمةٍ
وبإشارةٍ واحدةٍ من عين (إبليس) .

مرت ثوان من الصمت الرهيب، نطقَ بعدها (إبليس)
- هل تعلمين ؟ كنتُ على وشك أن أتغير، كنتُ على وشك أن أن
أحبك .

التفت إلى (سيرايل)، قائلاً بنبرة لا تحتمل إلا الطاعة .
- اغمرهما في ماء (النيل) من مشرقِ الشمس إلى أن تسقطَ في النهر،
أريده حدثاً تشهده كلُّ الشياطين ليعتبر من لا يعتبر، أريدها نهاية تشبه
ثورتِي .

حاولت (ميرو) أن تنطق، لكن صوتها كان قد مات، مع لسانها المحترق،
أشارت إلي (سيرايل)، وإلى ولدها، الذي لا يعرف الكلام، بدت علامات غير
مفهومة على وجه (سيرايل)، علاماتٌ أسفة، وربما ندم على خطأ لم يعلم

أنه سيَجْرُكل هذه الأحداث من ورائه، لم يكن ذلك قصدهُ أبداً، ولم يتوقع أن (ميركو) ترتبُ للأمر بهذه الكيفية المخيفة، أن تقدمه كولد (ميرو) أمر، و كعشيقيٍ أمر آخر تماماً .

أما (ميرو) فلم يبقَ لها إلا الدموع، ورجفةُ الخوفِ .

خلا الكونُ من أي مشهَدٍ، عدا تلك البقعة، من نهر (النيل) . توقفت الدنيا كلها، لتشهد الحدث العظيم، منتظرةً أن ينتهي، لتبدأ الحياة من جديد .

اصطَفَّت مسوخُ الشياطين علي ضفَّتي النهر، و(ميرو)، و ولدها معلّقان، من شعرهما إلي السماء، جسداهما يذوبان، في ماء النهر، شيئاً، فشيئاً، أمام الأعين المحدِّقة في جمودٍ .

صرخت (ميروفيليس) قدر ما استطاعت، من دون لسانٍ، جاء صراخها من أعمق أعماق روحها، وصرخت أكثر لألم ابنها، الذي يتلَوَّى إلي جانبها، والنهر يفور من حولهما . كانتا عينا (ميرو) تحمل أكثر من الألم ، لو أنّ (إبليس) موجودٌ في المشهد، لعَلِمَ من عينيها الحقيقةَ كاملةً، لكنه لم يتحمَّل رؤيتها تحترقُ . بالفعل لم يكن ليتحمَّل .

ظنَّ الجميع أن (إبليس) سوف يطيل اليوم، إلى ما لا نهايةٍ، إلا أنه منحها يوماً طبيعياً، لم يمد في ساعاته، فبرغم ثورته، إلا أن ألمه، كان لم يزل من ألمه، وهولن يتحمل أكثر .

لم يدرك أيُّ من الموجودين سر تلك الدمعات المترججة في عيني (سيرايل)، إلى أن سقطت الشمسُ في الماء، وسقطَ الجسدان للأبد .

كان التباين واضحاً بين عيني (سيرايل) وأمه . الدمعاتُ في عينيه وتلك
النشوة الغامرة لديها، يوحيان بصدام محققٍ وغير مفهوم .
(ميركو)، التي أحسَّت أنها أخيراً قد انفردت بمعشوقها إلى الأبد، هي لن
تسمح لأخرى حتى وإن كانت ابنتها أن تلهيه مرةً أخرى عنها .
كانت تعلمُ تماماً أن العشق ليس منه في شيءٍ ولن يكون ، لكن أن يكره
حبيبها كلَّ شيءٍ أفضلُ عندها من أن يحب غيرها . كانت تُدركُ أحقيتها
وأولويتها، إن كان للعشق منه نصيبٌ .

انتهيت إلي ولديها الذي نسيته في غمرة سعادتها .

: أرى عينيك تدمعان يا (سيرايل) .

= هدأت كل عذاباتك الآن يا (ميركو) ؟

: نعم يا ولدي . هدأت .

= يمكنني أن أتناسى صرخات (ميرو) وولدها....

ولكني لن أسامحك أبداً في صرخات أبي الذي كسرت قلبه .

: ماذا تقول أيها العاق ؟ كيف أتتك الجرأة لتكلم أمك هكذا ؟

(إبليس) يملك قلباً؟! ألم يكن هو سؤالك حين أخبرتك أنه يجب ؟

= لأول مرةٍ أدركُ أنه يملك واحداً، بل ويتألم له .

كرهتك حين رأيت داخله يحترق أمامي حتى كادت ناره تخمد، كان

شفاؤه فوق لساني، لكن لساني قيده الجبن، وكوني جزء من فعلتك

الحمقاء.

كرهتك حين احترقت (ميرو) وولدها من دون ذنبٍ في ماء النهر، لا لشيءٍ

سوى أن أبي أحبها أكثر منك . لا أتعجب الآن حبه لها، فمن يملك زوجةً مثل

(ميركو) بقلبي المملوء كراهيةً، لا بد وأن يحب غيرها .

: قلبي المملوء كراهية؟! هل نسيت أنني زوجة للشيطان. أنا بداية وجودكم أيها الأحمق، بدوني ما كان ل(إبليس) مملكة. أنا نصف كراهية الكون. ولست أخجل أن أمتليء بها من أجل أبيك.

= أنتِ أكثر شيطانيةً منه نفسه. إنني أكرهكِ. حتى أنني كرهت كوني شيطاناً، لأنني عرفت معنى أن أكونه اليوم..... اليوم فقط .

: كرهت أمك يا ولدي ؟

= لست ولدك .

إنني شيطانٌ لم يحمله ألمٌ من حوله على نطق الحقيقة .

الحقيقة التي ستموت رغماً عني وعنك . أتعلمين لماذا ؟

لأن (إبليس) لن يسامحنا إن علمها، لن يكفيه إطفاء نارنا لألف عامٍ حتى ينسى ألمه الذي رأيته في عينيه لأول مرة .

أنا ذاهب يا (ميركو) ولن أعود.....أبدأ.

تركها لمشاعرها المتباينة بين النشوة والألم .

كانت تشعر من كلمات ابنتها أنها فقدته إلى الأبد، لكن نشوتها باستعادة

زوجها وحببيها الوحيد أنستها كل شيء، ولو مؤقتاً .

لم تكن عذلةً (إبليس) فقط هي كل ما نتج عن فعلته (ميركو)، وإنما خسارتها ولدها الأول والأقرب الذي لم تشعر بها في حينها ، لكن مر الساعات جعلها تحس بأي مقتلٍ أصيبت فيه، فكانت نومتها الليلة مفزعةً .

خسرت (إبليس) في الماضي حين فضّل (ميرو) على جميع زوجاته، والآن

يبدو أنها تفقده إلى الأبد، فلم يمر (إبليس) على أي من زوجاته ليلتها وكأنه

اعتزل النساء .

كانت تعلم أنها مسألة وقتٍ لا أكثر، لا يمكن لقلبِ (إبليس) أن يعطِّله عن هدفه الأسمى الذي هبط لأجله؛ وأدخله في رهانٍ خاسرٍ منذ البدء . إن المحتوم لن تعطِّله غضبُهُ وإن بدت قوية، المحتوم محتومٌ من قبل أن تولد الغضبة .

لابد وأنه سيعود، لا يمكنه أن يوقفَ نسلَه بينما نسلُ (ابن الطين) لم يزل يغمُرُ وجهَ الأرض .

اعتزَل (إبليس) الحياةَ، فدبَّت الروح في الوجود، من جديد .
لم تظهر عليه أماراتُ العشق والولِّه من قبل، ولم تكن لتجوز له، كان يعلم أن كل ما يجري بيد غريمه، فلماذا ؟ ربما لأنه مخلوقٌ، وأيُّ مخلوقٍ يملك قلباً يُحيي ويُميتُ من العشق .

وربما كانت رسالةً من غريمه تُذكِّره أن لديه القدرةَ على الحب، فلمَ لا تعود ؟ فلمَّا لم يعتبرَ عَذْبَهُ ببقايا قلبه الذي لم يُثنه عن كِبْرِهِ .
نظر إلى أعلى .

-الآن مات آخرُ نبضٍ من قلبي .
والآن أعودُ، من دون أي عذاباتٍ، لم يعد هناك ما يؤلني، ولم يعد هناك ما أحب .

لا أدري سر ذلك النهر الذي يحملُ الحياةَ والموتَ، في قلبٍ واحدٍ .
رغم غضبته التي تفيض على كل من حوله، إلا أن هناك سرّاً ما يجبر كل من يراه على الالتصاقِ بجانبه .

كانت لعنة (إبليس) التي منحها إياه حين لَفَظَ وجهه قد تحقّق نصفها؛ ومنعه غريمه من النصف الآخر، ربما لأن (الله) يحب ذلك النهر فلم يمنع المصريين من حبه .

قامت الحضارة (المصرية) بأسرها من حول ذلك النهر العظيم، كانوا يعتقدون فيه لدرجة أنهم يقدموا أجمل بناتهم قرباناً له في يوم عيده من كل عام؛ حتى تهدأ ثورته التي بدأها الشيطان .

كان يشقُّ الأرضَ بطولها كأنه شريانٌ يحمل الدماءَ للجسدِ . شريانٌ واحدٌ وجسد ضخم، لكنه يكفي ليمنحه الحياةَ الكاملةً، تلك الأحجار المصقولة بعناية، كأن الملائكة قد سوّتها بأجنحتها قبل أن تقذفَ بها على جانبي النهر؛ من فوق السماءِ . كان شديدُ الجمالِ بقاعه المظلم حتى ليظن من يغوصُ في صفحته بعينيه أنّ الليلَ يسكن أسفلهُ، ليلٌ غير كل ليلٍ بكل ما يحويه من أسرارٍ، ولو جفَّ ليكشف قلبه للرائي لن تُعرف أياً من أسراره؛ المتناثرة بين الأسماكِ والتماسيحِ وأفراسِ النهر الطيبة .

رغم اللعنة التي أودعها (إبليس) النهرَ، لكن المصريين أبداً لم يكرهوه وإن غضب وأغرق .

على إحدى جانبيه، كانت تسكن صومعتها، المصنوعة من البوص . (إيجي بتاح). ربما كانت الوحيدة التي تختلفُ في عبادتها عن كل أهل (مصر) . تنظرُ دائماً إلى أعلى وتُطلق دعواتها، رغم أن إلههم (فرعون) يسكن قصره المهيب .

كانت عابدةً للذي بدأ الأشياءَ كلها، لم تكن قد رآته لكنها تعرفه جيداً . تعرف كل صفاته وكأنها تحيا معه، تعلم أنها مخلوقة لتعبده هو من دون (الفراعين)، وتخشى على حياتها بطش من لا يرحم

(فرعون) الأكبر. الذي قضى على أي عبادةٍ من دونه، ساعده في ذلك
كبيرُ كهنته ليصبح هو الله .

لم يخب ربُّها ظنُّها به، فكان يرسلُ إليها رسوله في منامها، يُنبئها بما
يُرضيه ويُبْلِغُها رضاه .

كاد الفجر يُعلن عن نفسه، و(إيجي) غارقةً في عبادتها مستغرقة في
دعائها لم يقطع عزلتها سوى صوت بكاءٍ استغربهُ الوجودُ من حولها؛
واستغربتهُ أذنيها .

: يا الله !!! أهذا الصوت حقيقيّ ؟

عاد الصوتُ يعلنُ أنه حقيقةٌ بالقرب من صومعتها المنعزلة عن الدنيا .
كان تأثيرُ الصوتِ عليها عجيبياً، حتى أنها لم تتردد لحظةً في أن تخرجَ من
صومعتها لتتبعَ آثار الصوت .

لم تكن حذرةً رغم غرابةِ الموقفِ، وكان الصوتُ يأتي من الماء .

: هل ولدَ النيلُ ابناً ؟

اقتربت أكثر من الماء، أزاحت أعوادَ البوصِ لتكشف صفحته . كان
الصوتُ يسعى إليها أكثر مما تسعى هي إليه، حين لاقت المصدرَ صرخت
صرخةً ربما أهاجت الليلَ والماءَ سويًا .

: يا إله الكون !!! ما أبشعها صورة .

كان جسدُ (ميرو) المحترقُ قد طفا فوق سطحِ الماءِ واستقر إلى جوارِ
صومعتها، كان أبشعَ من أن يوصف .

لقد أطفأ (النيلُ) جمالها وأحالها إلى مسخٍ، لا يمكن لأيِّ كان إلا أن
يصرخَ حين يقع عليه ناظريه، حتى أن (النيل) بدا متأففاً لحمله إياها فلفظته
على الطيِّ الأحمر .

كانت (إيجي) قد حوّلت عينيها بعيداً، لكن الصوت الباكي لم يزل يناديها
نطقت بعد لحظاتٍ من إغماضِ عينيها :
من أين يأتي الصوتُ؟ لا يمكن لهذا المسخ أن يحملَ أية حياة . إنه
الموتُ في أبشعِ صورِهِ .

كان الصوتُ يُصرِّعُ على أنه آتٍ من قلبِ المسخ .

: يا إلهي إنه في المسخ . كيف يمكن هذا؟

مدّت يدها المرتعدةً إلى داخلِ الجسدِ المحترق، باعدت ما بين اللحمِ
المهترىء مغلقةً عينيها، فأضىء الكون بحاله، لدرجة أنها رأت النور بعينيها
المغلقتين. حين فتحتهما لم تعد ترى المسخَ مطلقاً .

كان الضئى أشدَّ من أن تحتمله عيناها فأغلقتهما للحظاتٍ حتى
تستوعبه . عادت تفتحهما، ربما أنها تحلم لكن الحقيقةً ثبتت في نظرها .
خلّصت ذلك الكائن النوراني من كتلة اللحم المنفردة، تأملت كل ما
فيه، عينية الزرقاوتين، شعره المذهب، ذلك الضي المنبعث من جبهته والذي
يكاد يُنسبها مقدّم الفجر .

بُهرت حين لامست أجنحته الشفيفة، الرائقة كماء (النيل) . أربعة
أجنحةٍ أرق من النسيم لا تُعكّر منظر ما وراءها، حقق كل خيالاتها عن
الملائكة وأكثر .

كان يُجبرها أن تضمّه إليها، حين لامس صدرها جرّت دماءً جديدةً
بقلبيها، دماءً لا تعرف إلا الحب . صرخت السماء وهطلت الأمطارُ بغزارةً،
سقطت نقطةً من ماء السحب على جبين ذلك الكائن النوراني فاحترق
وصرّخ، جرّت به إلى صومعتها تقيه المطر وتزود عنه أذاه الظاهر .

كانت تسمعُ صوتَ دَقَاتِ قلبِها حينَ أغلقتِ البابَ . بعد أن هدأت رجفتها تأملت وجههُ، تلك العلامة التي خلقها المطرُ على وجنته الرقيقة، ألقتهُ على الأرض شاهقَةً :

أعوذ بالله من الشيطان.....أعوذ بالله من الشيطان.
كانت تعلمُ أن الملائكةَ مخلوقَةٌ من النور، والنور لا يطفئه الماءُ، ليس مخلوقٌ من النارِ إلا..... لم تستطع نطقها، كان الطفلُ يبكي ويتلوَّى على أرض الصومعة.

خَيْلٌ لها أن كلَّ ما حدث محضُ خيالٍ، أغمضت عينها لربما تخلَّصت من واقعها المريب ، طالت فترةً غلقها لعينها فراحت في نوبةٍ نعاسٍ لم ترتب لها .

في نومها جاءها الملاكُ الذي طالما أنسَ وحدتها. رسول ربهَا .

: ما زلتِ خائفة ؟

: إنهإنه ليس ملك .

: أعلم أنه ليس بملكٍ .

: هل هو.....؟

: كما يخبرك قلبك تماماًهو ابن (إبليس) .

: ولماذا يفعل بي ربي هذا ؟ لم أقصِّر في عبادته لحظةً، هجرتُ الدنيا من

أجله، والآن يعاقبني بآبِن الشيطان ؟

: ولمَ لا يكون يكافئكِ ؟

: كيف ؟

: أنتِ العابدةُ الوحيدةُ فوق هذه الأرض، وقد أرادَ اللهُ له أن يعرفه. هل

ستحرمين مخلوقاً أن يعرف ربهَ وربك ؟

: ولكنه.....

: اتخذيه ابناً .

: إين؟؟

: اربطي أجنحتَه ولا تفلتيها أبداً، فإن نهايته تبدأ مع أول رفةٍ من جناحيه في عين الشمس .

: إنه.....

: اخبريه أنه ملكٌ هادك الله به لأنه يحبك .

اطعميه جمرات النار، عندما يكتمل جسده فلا طعام بعدها مطلقاً، احفظيه من الماء والمطر واجعليه عابداً .

أنتِ أمه، إياك أن تنسي هذا . أمه فقط ولا شيء آخر.

أسميه (أمون)، سيكون له شأنٌ عظيمٌ في دنياك وسيُخلدُه التاريخُ بذات الاسم، (أمون) .

نادته وهو يغادر .

: انتظر .

: لقد بدأت من عنده الحكاية، ولن تستطيعي إيقافها، فالله وحده، من أراد لها أن تبدأ، فلا تكوني أنتِ نهايته .والآن استيقظي فالطفل يتضورُ جوعاً استردتِ وعمها، وكلماتُ الرسول، ترن في أذنيها، وتمتزج ببيكاء طفلها الجائع . اقتربت منه بحذرٍ، غلبت خوفها وتحسست جسده، شعرت بخدرٍ لذيذٍ يجتاحها، ارتاحت نفسها وهدأت، فحملته إلى جوار النار وأطعمته من جمراتها في رفقٍ، حلت شريطَ شعرها وربطت به أجنحتَه الرقيقة، حين ابتسم في عينيها تجملت لها الحياة .

: ربما تكونُ مكافأتي على هجراني الدنيا من أجلِ ربي .

: سأأخذك ابناً يا(أمون) .

استطاعَ منظرُ (ميرو) مُرْتَمِيَةً في أحضانِ ابنها أن يقتلها، حتى أن (ميركو) نفسها، لم تكن تتمنى أكثر من هذا، ربما كانت لترضى بأقل مما حدث بكثير.

كان ردُّ فعلِ (إبليس) قد أجمَ السَّنةَ وعقولَ الجميع، لم يفكّر أحدٌ أنها تحمل في أحشائها ابناً أخيراً له ستنجبه قُرابة الفجر: كعادة كل يوم . كان الغضبُ يصب نازَه فوق كلِّ شيءٍ، لم يبق من أي شيء ما يمكن تذكُّره، ولا حتى موعد الانجاب المعتاد .

كذب (سيرايل) على سيده لأول مرة كي ينجو وأمه . لولا صورة (ميرو) التي حجبت نظره عن الدنيا لعرف أن (سيرايل) يكذب، لكن عينيه كانتا بالفعل ممتلئةٌ بها حتى لحظتها .

طفا جسد (ميرو) المحترق محتوياً ابن الشيطان فوق صفحة ماء (النيل)، يحميه ويوجهه حيث مصيره المُعد مسبقاً .
لتبدأ الحكاية حكاية (أمون)، الشيطانُ العابد .

كعادة الدنيا، استمرت في طريقها غير ملتفتة لما قد فات، ولم يبقَ من الماضي سوى بعض الأحاديث الجانبية؛ بين أبناء الشيطان كلما رأوا شروء أبيهم فوق عرشه . أفلت الجناة بأرواحهم التي راهنوا عليها، حين أقدموا علي تلك الخدعة الشيطانية، لم يسأل (إبليس) كيف نجا ابن (ميرو)، ولا كيف أفلتته أمه من بين يدي (سيرايل) . كان كلُّ ما يتملِّك عقله وقتها الانتقام، فقط الانتقام . أغلق الباب على ذكري قاتلة، وأثر ألا يفتحه من جديد .

انطفاً الغلُّ في نفس (ميركو) بعد أن عاد الشيطان يستخدمها للإنجاب من جديد، رغم أنها تعلمُ كونها بالنسبة له مجرد رجيم؛ من دون أي مشاعرٍ، رغم فقدتها الذي طال لولدها الأكبر (سيرايل)، وبدا أنه سيستمر ما دامت بهم الحياة، لكنها كانت راضيةً فقط بغياب (ميرو) عن عين معشوقها .
وبقى السؤال - أئ سحر أصاب قلوب الشياطين بالحب؟ -

جلسَ (آمون) فوق الصخرة التي ألقها منذ عام تقريباً، يرقب الشمس، كانت تعشقه فألقت بكل أشعتها فوق جسده، وربما انجذبت له راغمةً، فقد اكتمل الجسدُ وأصبح ابن الثامنة عشر، لم يكن يشبهه مخلوقٌ فوق الأرض، كأنه ملكٌ هبط من السماء واستقرَّ حيث أحبَّ .

عيناه الزرقاوتان تفيضان بموج صافٍ، شعره الأصفر المجدولُ بيد أمه (إيجي)، ونور وجهه الطافي فوق ماء النهر .

ثمانية عشر عام لم يره إنسي، ولم يره غيرَ (إيجي) أمه التي أخبرته أنه ملائكةٌ؛ وهدية السماء لها . لم يستغرب هو كلماتها، فقد كان يرى الفرق، بين خلقته وخلق أمه، كانت قد علمته، كل ما تعرفه عن ربه، حتى صار عابداً، كمثلهما .

كان اليومُ هو يوم الوداعِ . يعلم أنه لابد وأن يودّع محبوبَه (النيل) .
كان يراه يحوي نصف ما في الدنيا من أسرار، وجمال، ومشاعرٍ أيضاً . يبدو
كواهب الحياة والخير، يجذب اللون الأخضر إلى جانبيه، ومن دونه يبدو
الوجود أجذبُ .

سيثور بعد أيام ويُغرق كل ما حوله كعادته، وبالطبع لابد أن تنتقل
(إيجي) وابنها إلى حيث لا تطولهما يد (النيل) الغاضبة .

كان يتأمل صفحة الماء، يعلم أنه سيعود ليراه من جديد، لكن من مكان
آخر، العجيب أن أماكنه كانت كلها جميلة، ربما لأنه كان لم يزل بكرةً، أو لأنه
أحبه بصدق .

= تعلمُ أنه لا يوجد بكل هذه الدنيا من أحبه أكثر منك وأمي؛ بعد الله .

ليتني أعلم ما يغضبك حتى لا أفارقك ولو لأيام معدودة .

أكيد أنك تسمعني وتحبني كما أحبك، لكن أكثر ما يقتلني هو أنني ملك،

لا أستطيع الذوبان فيك كما تفعل (إيجي) .

لو خُيرت منذ البدء لاخترت جسد الطين للأمسك ، ليس بيني وبينك أيها

(النيل) إلا الجسد، لكني أعلم أنني هديتها من السماء، لذا سأظل أحبك ولو
عن بُعد .

كانت الشمس قد بدأت النزول إلى الماء لتغرب .

= سيأتي يومٌ أصير أنا فيه الشمس، وأشعر أن غروبي سيكون بين

أحضانك .

سحب الغروب رداءه فوق الكون الذي بدأ في التثاؤب، فتدّكر أمه

(إيجي) .

دخل (أمون) إلى الصومعة ليجد (إيجي بتاح) تستعد للرحيل، وتلملم أشياءها البسيطة .

: أين كنت يا (أمون) ؟

= أودّع (النيل) .

: أعلم أن ذلك (النيل) سيسلبك رشذك في يوم من الأيام .

= سلبني إيّاه بالفعل يا (إيجي) .

: كله ؟

= إلا الجزء الخاص ب(إيجي)، هو ملكك منذ وهبني الله لك .

احتضنته بشدة .

: ولدي الحبيب.....مرت أعوام وأنا أراك تكبر أمام عيني .

= ولن أبرح عينيك ما بقيت يا أجمل أم في الدنيا .

: أرجو الله أن يبقيك بظلي إلى أن ألقاه .

والآن دعنا من كل هذا، هيا لقد أن الأوان لنرحل ونحل في مكان آخر،

قد ينفذ صبر (النيل) ونحن لا نحتمل غضبته .

= لا تقلقي إنه يحبني كما أحبه، وأشعر أنه يفعلها راغماً .

: واثقة أن البقعة الجديدة منه ستكون أجمل .

= ما خذلني من قبل .

: إذأ فلتساعدني أيها العاشق الوله، الأشياء ثقيلة .

= عنك كل الأشياء فأنا (أمون).....- ينحني أمامها - ملاك سيدي .

ضحكت وهي تراه يحمل الأشياء بسهولة شديدة رغم ثقلها، لكنها لم

تستغرب فهي تعلم كل شيء منذ البداية .

هاج (النيل)، ولم تهدأ ثورته إلا بعد أن قدّم المصريون قربانهم من أجمل بناتهم، وعادت الحياة تستقر على ضفافه من جديد .

لا يستطيع أيُّ إنسانٍ أن يحدد سر العلاقة الناشئة بين (النيل) والمصريين، لا في عمقها ولا في قوتها . سرتلك العلاقة التي تجعلهم يخشونه ويحبونه في ذات الوقت، العلاقة التي تجعلهم يقدمون أجمل بناتهم لأحضانه كل عام لتظل قائمة، كان يجري فيهم لا من تحتهم .

ربما يؤمن البعض بأنها الحياة التي وهبها (النيل) لأرض (مصر)، أمّا أنا فأعتقد أنها أكبر بكثير من وهبهم الحياة، عندما نظرتُ فيه من قُرب اعتقدتُ أنه هو الحياة بعينها . عندما انفردت به شعرت أنه كل شيء من دون أي شيء، أنه الحياة وهو أيضاً.....الموت.

كان المكان الجديد الذي اختارته (إيجي) أجمل من كل الأماكن الماضية، لدرجة أن (أمون) نفسه ظنّ أنه يرى (النيل) لأول مرة.

أقام صومعته، ألقى بأشياءه داخلها ثم انطلق جازياً.

: (أمون) . أين أنت ذاهب يا ولدي ؟

= تعلمين يا أمي أعدك لن أتأخر.

: ستتأخر.

ثم في سرّها:

: قلت ستُجن بعشقتك (للنيل) .

رغم أنه افتقد صخرته القديمة إلا أنه وجد صخوراً عديدة؛ يمكنها أن

تعوضه ما مضى، جلس فوق إحداها يتأمل الماء .

= ها قد عدتُ من جديد.

ألم أخبرك أن الأمر لن يطول ؟ أعلم أنك تجيبني بلغة لا أفهمها، لا تقلق سيأتي اليوم الذي سأفهم لغتك ولن ينقطع الحديث؛ ما دمت حياً.
هل تعلم ؟ إن (إيجي) تغار علىّ منك، ألحظ نبرتها كلما غبت عنها لأجلك، وأعتقد أنها محقّة في هذا . إنها تحبني أكثر من الحياة نفسها.
أخبرك شيئاً ؟ لكن عدني ألا تغضب - مبتسماً - إنها تحبني أكثر منك أنت . أرجوك لا تغضب منها إن أحببتي أكثر من أجمل شيء في الدنيا، فبي أمي، وأنت تعلم .

وبينما هو يلقى بأحلامه وأماله في النيل ، إذا بصوت ضحكات رقيقة تنسلّ من بين البوص، وتأخذ طريقها إلى أذنه ، كان أكيداً أنه ليس صوت أمه (إيجي) ذلك الصوت الذي يعيه جيداً، بل وقُطِم عليه.
شعر بخوف شديد لأول مرة في حياته، كان إحساس الخوف يولد بداخله، وكم هو مؤلمٌ إحساس المخاض . ربما كان الخوف من المجهول هو ما ولّده .

كان يشعر بالقوة اللا متناهية تسكن عروقه، لكن صوتاً رقيقاً أحال قوّته إلى رجفة مرتعبة، جعلته يهب من جلسته ويمنح ظهره للصوت، ينطلق إلى حيث يتلاشى الإحساس الوليد، إلى حيث أمه (إيجي).
دخل الصومعة وأنفاسه تتسارع على غير عاداتها .

: ما بك يا ولدي؟!!!

قالتها مرتعبة

= لقد.....لقد سمعت صوتاً.

: أي صوت يا (أمون) ؟

= صوتاً يشبه أصواتنا، لكنه لا ينتهي لأيّ منّا.

فزعت (إيجي) قائلة:

: من أين يأتي ذلك الصوت ؟

أشار بإصبعه إلى حيث أتاه الصوت، من بعيد .

أرسلت (إيجي) بصرها حيث أشار، التفتت إليه ملؤها الخوف والفرع .

: هل لمحك أحد ؟

= لا يا أمي عدتُ مُهرولاً بمجرد أن سمعته.

أخذت تلملم أشياءها مرة أخرى دون أن تمنح ولدها أئى فرصة للنقاش

: هيا... هيا بنا، لا بد أن نرحل الآن .

= نرحل!....الآن ؟ لم يلمحني أحدٌ، ليكن باكراً .

: الآن يا (أمون)

قالتها بحزم صادق

: أنت لا تعرف معنى أن تكون قرب البشر، لست منهم يا ولدي .

= إنهم مجرد بشر يا أمي، أنت أيضاً بشرية .

: وأنت ملاك والملائكة لا تحيا بين البشر .

= لماذا تهريين منهم ؟

: لأنني أعرفهم، هذا أمر الله لي أن أحافظ على هديته .

= غربت الشمس يا (إيجي) وأخشى عليك جهد الليل، أنت منهنك، لن

يضيرنا إن بتنا الليلة وصباحاً نرحل إلى أبعد مكان عن هنا.

لم يكن ينكر من داخله أنه عشق ذلك المشهد الجديد (للنيل)، ولم يرو

ظمأه منه حتى لحظتها . لكن الصوت الرقيق كان قد داعب أقوى غرائزه على

الإطلاق، الفضول، الفضول الذي أسقط (ابن الطين) من قبل .

سنوات عاشها لا يعلم أن الدنيا تحوي غيره و(إيجي)، تلك العزلة التي
فُرضت عليه لدرجة أنه ارتعب لمجرد سماعه صوتاً ليس لأمه، ربما كان
ضعيفاً، لكنه بداجميل .

أخذت (إيجي) تجمّع الأشياء بسرعة غير ملتفتة لكلمات ولدها الأخيرة .
= أمي.... الليلة فقط .

: (أمون) ليس لي بهذه الدنيا إلا أنت، أنت وحدك من جئتني لتكسر باب
عزلي . جئت لتذكرني بالحياة، لتمنحني ربحها، ولن أسمح لأي كان أن
يؤذيك.

= ولماذا يؤذونني؟! لم أرتكب أي حماقة لأستحقها، سألاقيهم بالحب .
: إنهم يؤذون من دون أسباب .

= حتى وإن كنت ملك ؟

: سيؤذونك لمجرد أنك ملك، لن يُفلتوك لأنك لا تشبههم، إنهم لا يؤمنون
إلا بأمثالهم، صدقني يا ولدي هيا نبتعد عن هنا، والآن.

كان إصرار (إيجي) قد ألجمه . فحمل الأشياء مرة أخرى وبدأ رحلة البُعد
عن البشر، انتابت (إيجي) نوبة من النعاس المفاجيء بعد مسافةٍ ليست
بالطويلة، راحت في النوم ليأتيها ملكها من جديد .
- السلام عليك يا (إيجي)..... مرت سنوات .

: وعليك السلام .

-لقد أديت رسالتك على أكمل وجه، وها هو (أمون) قد صار فتياً كاملاً
: ما زال يعتقد أنه ملاك .

- وإياك أن تخبره غير هذا وإلا قتلتيه، جئت لأذگرك يا (إيجي) .
: بأي شيء ؟

- لا تنسي أنك أمه.....أمه فقط .

: أشعر كأني ولدته .

- إِيَّاكَ أَنْ تُحَلَّ أَجْنَحَتَهُ يَا (إِيحِي) .

: أقسم لن أفعلها ما حييت .

- وَالآنَ أَتَيْتُكَ بِرِسَالَةٍ مِنْ رَبِّكَ .

: وما هي ؟

- إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَسْتَقْرِي حَيْثَ أَنْتُمْ الْآنَ .

: مازالت المسافة غير كافيةٍ لأبعده عن أعين البشر .

- هَذَا أَمْرُ رَبِّكَ يَا (إِيحِي)، اسْتَقْرِي حَيْثَ أَنْتِ الْآنَ، لَقَدْ سَمِعَ (أَمُون)

صَوْتًا سِيعْرَفَهُ، وَإِنْ ابْتَعَدْتِي بِهِ لِلسَّحْبِ سِيعُودِ دُونَ أَنْ يَخْبِرُكَ، سِيبْحَثُ

عَمَّا يَقْرُبُ مَسَافَتَهُ إِلَيْهِ، رُبَّمَا لِحَظَّتْهَا سِجِلُّ أَجْنَحَتِهِ بِيَدَيْهِ . اسْتَقْرِي حَيْثَ

أَنْتِ فَالْأَمْرَ مَحْتَمُومٍ .

فَتَحَتَ عَيْنَيْهَا مَتَّعِجَةً، كَانَتْ كَلِمَاتُ الرِّسُولِ وَاضِحَةً تَمَامًا . اسْتَقْرِي

حَيْثَ أَنْتِ .

دَارَتْ بَعَيْنَيْهَا فِي الْمَكَانِ فَأَلْفَهُ قَلْبُهَا، لَكِنْ شَيْئًا كَانَ يَجْثَمُ فَوْقَ صَدْرِهَا

الْخَائِفُ لِأَنَّ الْمَسَافَةَ لَمْ تَكُنْ كَافِيَةً عَلَى الْإِطْلَاقِ .

= مَاذَا بَكَ يَا (إِيحِي) ؟

: سَنَسْتَقْرِيهَا .

كَانَ يَعْلَمُ أَنَّ الْمَسَافَةَ لَا تَكْفِي فَرَزَعَهَا السَّابِقُ، لَكِنَّهُ مِنْ دُونَ جِدَالِ نَطْقِ

= أَمْرِكَ يَا أُمِّي . هَلْ أَنْصَبُ الصُّومِعَةَ ؟

: نَعَمْ (أَمُون) هُنَا .

أَخَذَتْ تَتَابَعُ فَتَاهَا الْجَمِيلَ الَّذِي عَلَّمَهَا الْخَوْفَ مِنْذَ أَنْ وَجَدْتَهُ؛ وَهُوَ

يَنْصَبُ أَرْكَانَ صُومِعَتِهَا إِلَى جَانِبِ النَّهْرِ، وَقَلْبُهَا يَكَادُ يَقْتُلُهَا خَوْفًا عَلَيْهِ .

لم يكن المشهد يختلف كثيراً عن سابقه. نفس السحر الذي يمنحه (النيل) (أمون) إذا ما جلس قبالتها، لكن إحساساً جديداً وغريباً كان يراوده من آنٍ إلى آخر، إحساساً يتنافى مع ذلك الخوف الذي أحسه لأول مرة، ويتنافى أيضاً مع خوف أمه، يريد أن يعود. إنه المكان السابق حيث الصوت المُنْسَل من بين أعواد البوص، لم يعلم كنه الإحساس أبداً لكنه كان.....موجوداً ومُلِحاً.....مُلِحاً جداً.

على الجانب الآخر كانت (إيجي) تبكي في كل صلواتها، لا لشيء أكثر من أن يحفظ ولدها الحبيب، وبعده عن أعين البشر الذين عاشرتهم من قبل .
عندما دخل عليها (أمون) كانت لم تزل تبكي في الصلاة .
= (إيجي) لم تتوقف دموعك لحظة منذ أن استقر بنا المكان . لنغادره إن كان هذا يرضيك وكفاك عذاباً .

: لا يا ولدي ليس المكان . إنه خوفي عليك .
= شدة خوفك بات يقلقني يا أمي .
: إنه إحساسٌ لا يمكن للأُم أن تتخلص منه أو تخفيه، لن تجد له تفسيراً، إنه سرُّ الوجود يا ولدي.
= هل تعلمين يا أمي ؟

إن شيئاً بداخلي يريدني أن أعود إلى مصدر الصوتِ مرةً أخرى .
: أعلم تماماً وهذا ما يبكييني، إنها طبيعة كل المخلوقات، سيناديك مادمت لم تتبينه .

أرجوك يا ولدي حاول أن تتجاهل نداء المكان السابق، فلتمحه من ذاكرتك كأنه لم يكن .

أرجوك يا ولدي . إن كنت لا تزال تحب أمك (إيجي) .

= سأحاول يا (إيجي) . أعدكِ أني سأحاول إن كان هذا سيجفف
دموعك، لا حاجة لي بغيرك من بين كل البشر، أنتِ كفايتي .
كانا يعلمان الحقيقةً، لكن كلاهما تظاهرا بتصديقه للآخر، فلم يكن
الأمر بيد (آمون) ولا بيد أمه، التي تعلم أن اليوم آتٍ لا محالة .

لم يمنعه وعده بالمحاولة من أن يتسلل خلال البوص، ليظفيء فضوله
المشتعل .

كان يعلم أن قلب (إيجي) يرقب كل خطواته، حين فتح الستارَ أدرك أنه
كان يبحث عن سرابٍ، خاب ظنه حين لم يجد أيّاً مما توقع . (النيل) يجري
إلى حيث لا يُرى، السماء صافيةً، الشمس تلمع في عينيه البارعتين، لا شيء
مطلقاً، ربما كان ما سمعه محض خيالاتٍ خلقها خوفه الشديد من الأشياء،
ذلك الإحساس الذي ربّته أمه عليه . شعر أن خيالاته قد افقدته متعةً
مشاهدة ذلك المنظر الخلاب (للنيل) فلام نفسه بشده .

ملاً عينيه من ذلك المشهد وقرر أن يغادر من دون رجعة، لم يكن يتخيل
أن يناديه الصوتُ مرّةً أخرى بعد أن أدار ظهره إلى مصدره؛ ليبدأ رحيله .
حاول أن ينفذ تلك الهذات من رأسه، لكن الصوت كان يصير على أنه
حقيقةٌ وليس سراب كما ظن من قبل .

لم يتخيل أن خوفه الذي نفضه من داخله منذ لحظات سيعاوده .
رغم أنه كان يتوق لكشف مصدر الصوت، ورغم أنه حزن كثيراً عندما
وجده خيال، ففضوله لم يرضَ، لكن الخوف راوده من جديد، في تلك المرة لم
يُفقدته كلّ تماسكه كما حدث من قبل، ملمم ما بقى من قوة داخله وعاد يباعد
بين أعواد البوص؛ إلى أن تكشّف المنظر بوضوح .

مجموعةً من الفتيات العاريات يغمرن أجسادهن في ماء (النيل) من دون أذى، يتبادلن الضحكات الرقيقة في فرحٍ غامر. لم يمنع عينيه من تأمل أجسادهن الرائعة، غاص في تفاصيلها . يشمهن أمه في كل شيء، لكنهن أكثر صبا، لم يسرق الزمن من جمالهن كما فعل مع (إيجي)، كُنَّ في السن الذي يأخذ من الحياة لا الذي تأخذ منه .

كم هو جميلٌ أن تلامسَ ماءَ (النيل) بجسدك من دون خوف . كُنَّ يفعلن ما أراداه منذ فتح عينيه على سحرِ النهر . أربعة من الفتيات يزدن (النيل) جمالاً على جماله، ورقةً على رفته، أجسادهن لا تحترق، وقتها حسد البشر وإن كانت منهم أمه (إيجي) .

بدأ خوفه يتلاشى شيئاً فشيئاً، أي أذى يمكن أن يأتيه من تلك الأجساد النحيلة الرقيقة، أي أذى حكته له (إيجي)، لا بد أنها كانت مخطئةً، أكيد مخطئه . علّمته هي نفسها ألا بشر من دون أخطاء، وهي من البشر .

خانته أعواد البوص واهتزت، فانجذبت كل الأنظار إليه دفعةً واحدةً، صرخت الفتيات، حاولن إخفاء مفاتهن البادية وانفضّ المكان إلا من واحدة . واحدةً فقط كانت تصوب عينها إليه مباشرة وكأنها مسلوبة الوعي . تسمّر في مكانه للحظات، لم يدر ماذا حلّ به، شلّت جميع أعضائه بينما هي تقترب لا تداري خجل عريها عن عينيه، بدت كالمجذوبة المسحورة، تتجه ناحيته إلى أن صارت أمامه مباشرةً، مدّت يدها لتلامس وجهه الملانكي، عندها استعاد كامل وعيه وكامل أعضائه ليختفي عن ناظرها تماماً . كان الطريق يُطوى تحت قدميه، ووعيه لا يعرف إلا طريقاً واحداً . طريق (إيجي) أمه التي حدّرتة مراراً من تلك اللحظة، لكنه لم يطاوعها، جرى رغم أنه لا يجد مبرراً، فقط جرى .

كانت ملامح (أمون) جديدةً على وجهه حين دخل على (إيجي) صومعتها،
كان يرتجف كما لو أن الدنيا بحالها تطارده . تلقّفته بين ذراعها وضمّته إليها
بكل ما تملكه من خوف عليه. مرّت لحظات ليست بالقليلة حتى هدأ، وهدأت
معه .

بعدها نظرت في عينيه مباشرة .

: حدّرتك يا ولدي لكنك لم تطاوعني .

كنت أعلم أنها البداية، واخترت أن تبدأها مبكراً.....مبكراً جداً .
أخذت تمسح على شعره إلى أن ارتاحت روحه وراح في النوم، نومٌ يسبق
كل الحكاية .

مرّت الأيامُ بطيئةً، لأول مرّة كان (أمون) يجلس أمام (النيل) ولا يراه، لم
يعد يهتم لأمر الشمس السابحة في صفحته، حتى رغبته الملحة في النزول إلى
الماء خمدت وحلّ محلها رغبةٌ أكثر إلحاحاً . كان يحاول أن يكبح جماح رغبته
الجديدة، كي لا يُغضب (إيجي) أمه التي تمثّل له كل حياته، وأكثر .
كانت (إيجي) أعلم بحال (أمون)، لكن ليس بيدها أن تُطلقه إلى حيث
نهايته .

كانت تحبه أكثر من أمٍ له، كانت تخشى عليه اللا شيء، وبأي حال لم
تكن تريد أن تفقد هدية الرب لها .

هذا ما كانت تحاول أن تقنع نفسها به، لتخفف من وقع ألم ابنها أمام
عينها . ابنها الذي أحبته، حتى جاوز الأمر حدّ الحب نفسه .

كانت تعلم أن الأشياء لا تكتمل إلا بانتهائها، وإن كانت البداية قد حدثت
رغمًا عنها، فعليها أن تقاوم لتمنعها من الانتهاء، أو حتى تؤجله انتهاء
ولدها (أمون) .

كان ما يؤلم (أمون) شيء آخر غير الفضول، شيء آخر غير الخوف الذي لم يبرره وجه الفتاة، شيء آخر غير حبه ل(إيجي).
 المشاعر تأخذ من بعضها، وكلما زاد شعور أخذ من غيره القليل.
 إنه يريد بكل كيانه أن يعود، لم يكن يدري لماذا، ولم يكن يعلم إلى أي مدى سيصل احتمال عدم العودة مرة أخرى.
 كان يتأمل وجه (إيجي) وفي عينيه رجاء، ملوهما أن تنطق بكلمة واحدة هي - اذهب - لكنها لم تنطقها أبداً، أكيد أنها لن تفعل وإن فات العمر كله.

عندما عاد (أمون) إلى حيث أراد. وجدها جالسةً، كانت وحدها تتأمل ما اعتاد أن يتأمله في كل مرة، لم يكن يعلم أي حكاية بدأها وحديثه أمه عنها . كان يرى أمامه كائناً رقيقاً منشغلاً بما ينشغل هو به، كان يرى الأمور ببساطة أكثر مما تُحَمِّلُها أمه، بل آمن وقتها أن أمه (إيجي) مخطئة في تقديرها.

شعرت بوجوده، التفتت إليه من دون أي استغراب، وكأن عودته كانت حتميةً بالنسبة لها .

سبحت في عينيه من دون خوف .

+ كنت أنتظرِكَ .

كانت كلماتها صادمة لدرجة أن لسانه لم يستجيب لها بكلمة واحدة .

+ كنت أعلم أنك حقيقة ولست مجرد خيال .

= مَنْ أَنْتِ ؟

+ بل مَنْ أَنْتِ ؟

= أنا (أمون) .

+ غريبٌ هذا الاسم .

= منحّتي إِيَّاه (إيحي)، أمي .
 + وهل هناك أم لملكٍ مثلك ؟
 = كيف عرفتني أنني ملكٌ ؟ أمي فقط من تعرف .
 + لأنني أعرف البشر جيداً، وليس منهم من يشبهك .
 = أخبرتني أمي أنني ملكٌ هادتها السماء بي في ليلة مطيرة .
 + لم أكن أعرف أن السماء يمكن أن تهدي البشر ملائكةً .
 = حدّثت مع (إيحي) .
 ولكن من أنتِ أيتها البشرية ؟ إنكِ تشبهين أمي، لكنكِ أكثر صِبا
 وأكثر.....جمالاً .
 + حقاً ؟ هل تراني جميله ؟
 = نعم .
 + لا أدري . هل يمكن لمثلك أن يرى الجمال في ما هو خارجه رغم أنه
 يملك كل جمال الدنيا فيه ؟ اسمي (ساهي)..... (ساهي حور) ابنة (نف
 سور)، أكيد أنك تعرفه .
 = بالطبع لا . أنت أول من أراه من البشر بعد (إيحي) .
 بدت على وجهها علامات الدهشة . في أي حال آخر كان عليها أن تكذّبه،
 لكن طريقته في الكلام، ونقاء ملامحه أجبرتها على تصديقه، حاولت أن
 تتحايل على تصديقه كلامه .
 + أنت تمزح ؟
 = ولماذا ؟ أقسم أنني لا أقول إلا الصدق . فالكذب من صفات العبد
 العاصي، أنت أول بشرية تقع عيني عليها وأحدّثها بعد أمي (إيحي) .
 + تبدو في العشرين من عمرك، ولم ترأي بشراً من قبل ؟!!!!
 = بل ثمانية عشرة عام، ولم أربشياً من قبلك .

+ كيف ؟!

= تخشى (إيجي) علىّ منهم، لذلك وارتني عن الأعين طيلة حياتي، وجئت
أنتِ لتغيري ما اعتدته ثمانية عشرة عاماً .

+ عجيب هو كلامك .

= وما العجب في أن يعتزل أحدُ الناس ؟

+ وكيف سيحيا بدون الناس ؟

= كما أحيأ أنا و(إيجي)، تلك المسكينة اختارت العزلة من أجل ولدها

الذي لم تنجبه في يومٍ من الأيام .

+ أرى الحب يطلُّ من عينيك وأنت تتحدث عن أمك .

= لا يشاركني في حياها سوى ذلك النهر .

+ إنه يشارك كل (المصريين) قلوبهم .

= تحبين (النيل) مثلي ؟

+ بل أعشقه، فهو أجمل ما في دنياي، خاصةً حين تسقط فيه الشمس

عند الغروب .

= عجيب أننا لم نتقابل إلا الآن وتملكين نفس ووصفي (للنيل)، لحظة

الغروب هي أشد ما يفتنني به، لكنك لن تدري مدى حزني، فأنا لا أستطيع

الذوبان في مائه .

+ حاول ولن تندم .

= حلمت كثيراً أنني أسبح في مائه من دون أن أحترق .

+ تحترق ؟!

= ألم أخبرك أنني لست بشرياً . إنني ملك، ولا يجوز للملك أن يمسه

الماء، فعلى أن أتقي الأمطار، وندى الصباح، حتى ماء من أعشق . هل تعلمين؟

حسدتك حين رأيت جسدك يعانق ماءه .

(بخجل)

+ جسدي ؟ إنني ...إنني.....

توارد إلى مسامعهما صوت بوق يدوي في الأفق القريب فهضبت من جانبه مسرعة، كأن صوت البوق قد أفلتها من لحظة خجلها .
+ لا بد أن أذهب الآن فقد حان الوقت . سأنتظر كل يوم في نفس المكان حتى تغرب الشمس، أود أن أراك، هناك الكثير أريد أن أعرفه عن ملاكي .

ابتسم (أمون) ابتسامة أنارت الكون في عينها

= سأحاول أن أكررها .

+ أرجوك من أجلي .

أخذت تبتعد، وجد (أمون) نفسه يردد

= من أجلك .

لم يكن الأمر يحتاج لأكثر من نظرة في وجه (أمون)، لتعرف (إيجي) كل شيء وأكثر. قتلها الأسف المظلم من عينيه، كأنه يقول لها - أرجوك لا تفضي لأني عصيتك -

: ذهبت إلى هناك مرة أخرى ؟

كان ارتباكها كفيلاً بالإجابة على سؤالها .

: رجوتك ألا تفعلها من أجلي، من أجل أمك (إيجي)، لكنك بدأتها،

عصيتني وبدأتها، الله وحده من يعلم إلى أين ستأخذنا الأيام .

= لا تخشي عليّ يا أمي، كل شيء على ما يرام .

: أي شيء يا (أمون) ؟

= إن البشر طيبون وليس علينا أن نخشاهم بعد الآن . لقد عاملتهم.....

صرخت في وجهه صرخةً كانت الأولى وربما كانت الأخيرة وهي تهزه بعنف من كتفيه .

: عاملتهم ؟ كم مرة فعلتها ؟ مرة ؟ مرتين ؟ أنا التي أعرفهم، أنا من عايشتهم سنوات لا أذكر عددها، وأنا أقولها لك، ليست هي كل البشر، البشر مختلفون بعدد وجوههم، لن تقدر أن تعرفهم وإن أردت .

تعتقد أنك منهم ؟ نسيت من أنت ؟ ستنتهي بمجرد أن يشيع أمرُك بينهم، سيسألونك من أنت ؟ ومن أين هبطت على دنياهم ؟

امنحي إجابةً واحدةً لن يستغربها أو يكذبها أيُّ منهم . ملك ؟.....
هل تعتقد أنهم سيسمحون لملك يعبد الله أن يعيش بينهم بينما يعبدون (فرعونهم)؛ المتأله على عرشه ؟

إن سألتهم عن ربهم سيشيرون إلى القصر الكبير، بماذا ستخبرهم إن سألوك عن إلهك ؟ أم أنك ستنكره لتعيش بينهم ؟ إلهك الذي عشت عمري لأعرفه وأعرفك به .

كسرت قلبي يا ولدي، والآن ليس علينا سوى الانتظار حتى تتكشف لنا خبايا الأيام القادمة ولا أظنها ستحمل الخير أبداً .
= أمي.....

: اتركني لحالي . أحتاج أن أصلي ربما خفف الله وطأة الآتي .
منحته ظهرها لأول مرة، دار بوجهه أسفاً، تاركاً الصومعة بينما دموع (إيجي) تبلل محل سجودها .

كانت (نانا) ماشطة (ساهي) هي أقرب مخلوقٍ لها، تُلقى بكل أسرارها إلى بئرها السحيق من دون خوف، والدها (نف) منشغل بحكم منصبه ككبير كهنة (فرعون) الأعظم، ووالدتها (راميس) تتابعها عن بعد. فقد كانت حفلاتها الصاخبة، لا تكاد تقف لحظةً، تاركةً ابنتها لماشطتها الأمانة (نانا).
: أرى مولاتي (ساهي) في حالٍ، هو الأسعد منذ نلت شرف خدمتك .
+ لا تتخيلي مقدار سعادتِي يا (نانا)، أشعر بالحياة في ثوب جميل، لقد رأيته اليوم وتحَدَّثت إليه .

: تقصدين ذلك الخيال الذي حدثتيني عنه من قبل ؟
+ لم يعد خيالاً بعد الآن، إنه حقيقة .
أفلتت شعرها من بين أصابعها، وجلست قبالتها تسألها متلِّفةً :
اخبريني يا مولاتي بكل كلمةٍ دارت بينكما .
+ اسمه (أمون)، ليس بشرياً، أخبرني أنه ملكاً وأنا أصدِّقه تماماً، فليس بين البشر من يشبهه .

: ألهذا الحد هو جميل !?
+ أجمل من أن أصفه لك يا (نانا)، كل الصفات الجميلة لو تجمَّعت فوق لساني الآن ما وقَّته، إنه ملكاً هادت به السماء أمه (إيجي)، ملكٌ أجمل من الشمس عند الشروق .

: السماء لا تمنح البشر هدايا مولاتي .
+ كنت أعتقد ما تقولين لكنها فعلتها مع (إيجي)، وربما فعلتها معي أنا أيضاً، فمنذ أن رأيته أحسست بروحي تشتعل عشقاً .
: مولاتي هل نسيت ابنة من تكونين ؟ أنت ابنة الكاهن الأعظم (نف حور) .

+ أقسم (بفرعون) الأعظم أن أبي لورآه لصدّق أنه ملكاً نزل من السماء
إلى دنيانا؛ ليملاًها بنوره .

: أرجوكِ سيدتي لا ترددي مثل هذا الكلام ثانية، لربما سمعه والدك
فأذاه و.....أذاك .

+ وهذا كل ما أخشاه . سأحفظه في صدري، لكني لن أستطيع منع
نفسي من لقاءه، عدت أراه في كل شيء من حولي، صار هو الحياة كلها .

: مولاتي أخشى.....

+ لا تتعجلي الأمور يا (نانا)، دعي قلبي يحترق فأنا أتلذذ بهذا الشعور،
دعيني أذوب عشقاً وليحدث بعدها ما يحدث .

والآن اتركيني وحدي، فأنا بحاجة لأنفرد بخيالي .

: أمرك مولاتي .

مرّت ثلاثة أيام على (أمون) كأنهم عمره الماضي بحاله، قضاها بين الألم
والرغبة، وشعور غريب لا يشبه ذلك الذي يحمله بقلبه نحو (إيجي)، يتنامى
رغماً عنه . في النهاية دخل على أمه صومعتها ليجدها تصلي . كان يحبها جداً،
لكنه لم يعد يطيق الاحتمال .

= أمي.....لم أعد أخشى البشر .

لم تجبه .

= أمي جنّتُ أخبرك أنني عائد إلى هناك .

أعلم أنني أعدّبك بكلماتي، وأنتك لا تستحقين مني هذا العذاب، لكني
أرجوك أن تسامحيني إن كنت أفعلها رغماً عنك، فأنا ولدك المطيع، لم أشعر
بالعزلة إلا الآن، وأنتِ أعلم بالمها، أردت أن أتحمّل مثلكِ لكني لم أقدر، أشعر

أن الله يريد لقاءنا، أعلم أن لي حكايةً منذ البداية أريد أن أعيشها، أرجوكي يا أمي أريد أن أعرفهم ولو حتى واحدة منهم .
زلزلت الكلمة كيان (إيجي) بأكمله، واحدة غيرها؟! رغم هذا لم تجبه .
= ربما تملكين أسباباً لا تريدين البوحَ بها، ولن أجبرك على قولها، فأنا لم ولن أفعلها، لكنني لم أعد طفلاً، من حقي أن أجرب حتى وإن أخطأت .
أنا ذاهب يا (إيجي) وسأعود بعد الغروب، لا تقلقي سأحافظ على نفسي قدر ما يريد الله، واعلمي أنني أحبك أكثر من نفسي .
رحل إلى حيث تخشى (إيجي)، كانت تعلم أن في خطئه نهايته، لكنها لم تعد تملك غير البكاء لربما حفظته دموعها من الأذى .

كان لقاؤهما في تلك المرة لا يحمل أيّ شعور آخر سوى الرغبة في التلاقي، لا خوف، لا حذر، تكسّرت كل الموانع، مجرد القرب الممزوج بالاحتياج هو ما كان يسوقهما، القلبان يعملان بكيفية جديدة على كليهما، وبداخلهما شعورٌ جنين لم يدركاه من قبل، ربما كان جديداً على (ساهي) لكنه بالتأكيد كان جديداً على (أمون) .
+ كنت أعلم أن عودتك لن تتأخر كثيراً .
= لم أستطع منع نفسي من المجيء .
+ ولا أنا . انتظرتك كل يوم إلى غروب الشمس .
= كنت أتمنى أن آتي كل يوم، إلا أن خوفاً من غضب (إيجي) هو ما كان يمنعني، واليوم لم أحتمل .
+ جنّت من دون علمها ؟
= لا بل أخبرتها أنني سأراك، جنّت تاركاً إياها تبلي .
+ تبلي (لفرعون) ؟

= ومن يكون (فرعون) ؟
 + (فرعون) ربي ورب كل الناس .
 = لا أعرف إلا رباً واحداً يسكن السماء، هو من علمتني (إيجي) أن أصلي
 له، وهو من أراه إلهاً يستحق أن يُعبد .
 + ألا تعبد (فرعون) يا (أمون) ؟ هل تكفريأله (مصر) ؟!
 = إن كان ربي اسمه (فرعون) فأنا أعبده، أما إن كان آخرأ فأنا لا أعبد
 إلا واحداً .
 + (فرعون) يسكن قصره ويُجري من تحته الأنهار، بيده حياتنا وحياة
 كل الأشياء، له القوة، والعزة، والمنعة .
 = هي من صفات ربي، لكن ربي لا يسكن قصرأ، إنه يجلس فوق عرشه في
 السماء. إنه أكبر من كل القصور، لا يحويه المكان، وأكبر من كل شيء حتى
 الزمان، هو من خلقتي وخلقك، وحتى (فرعون) .
 تلقَّت حولها بخوف وحذر كأنها تتأكد أن كلماته لم تنسل من بين أعواد
 البوص؛ إلى أي مكان آخر، كانت تعرف جزاء من يقول مثل كلماته .
 + لا تكرر كلماتك ثانية لأني كان لربما صلبوك حياً .
 = ولماذا ؟ لأنني أعبد الله يصلبوني ؟
 + لا بل لأنك لا تعبد (فرعون) .
 = كلماتك تبدر الخوف في قلبي يا (ساهي)، إنك ترددين نفس كلمات أُمي
 (إيجي)، لم أصدقها وقتها، تلك المرأة لا تخطيء رغم أنها بشر .
 + أرجوك يا (أمون) لا تخبر أحدهم بهذا فأنا أريد لك الحياة .
 استمر اللقاء لساعاتٍ، لم تتوقف كلمات (إيجي) عن مراودة خاطره
 طيلة الوقت، رغم أنهما تحدثا في الكثير والكثير إلى أن غربت الشمس .

جاءها صوت البوق فانصرفت وفي عينها نظرة شفقةٍ ممزوجة بحبٍ
ظاهر لا يمكن ل(أمون) أن يجهله، لأنه عرفه من قبل في عيني (إيجي) أمه .

كان الصمت يملأ المسافةَ بين (إيجي) وولدها، مرّت أيام ليست بالقليلة
على هذا المنوال، كان يحاول في كل لحظة التقرب إليها، وكسر حاجز الصمت
المخيم، لكنها بدت وكأنها صائمة عن كلامه .

أراد إجابات واضحة على أسئلة كثيرة تتصارع بجوفه، لكن شيئاً يشبه
الخجل أو الإحساس بالذنب كان يمنعه من أن يخترق خلوتها، كافٍ ما قد
فعل، بعد وقتٍ فاض به الكيل، لم يستطع خجله أن يقيد أكثر من هذا .
اقترب من (إيجي) متجاوزاً خلوتها، جثا على ركبتيه أمامها، أمسك بيدها
وقبلها بحرارة، شعرت (إيجي) بارتجافة شفتيه الساخنة فوق يدها فسرت
فيها تلك الرغبة في أن تحتويه بين ذراعها للأبد . مسحت على شعره المذهب
برفق بدد كل خجله الذي أبعدهما لأيام؛ على غير اعتيادهما .

= سامحيني يا أمي . ربما أنك كنت على حقٍ في كل ما ذكرتيه ، أقسم أنني
لن أعصيك في أمرٍ بعدها أبداً .

: ليس علينا إلا الانتظار الآن يا (أمون)

- شاردة -

= أي شيء ننتظر؟! لنرحل عن هنا، والآن .

: رحيلنا لم يعد بيدي ولا بيدك . إنه بيد الله وقد أمرني أن أستقربك
هنا، أعلم أن في هذا حكمة لن أسأله تفسيرها فأنا أثق برّبي .

= إنهم يعبدون بشرياً يا أمي .

: هذا ما كنت أخبرك به ولم تفهمني . إنهم لا يعبدون ربي وربك، وإن علمَ
(فرعون) أن هناك من لا يعبده على وجه الأرض فلن يتوانَ عن قتله من دون
رحمة .

= ولماذا ؟

: الكِبْرُ يا ولدي .

= أَيُّ كِبْرٍ يا أمي، وعلى من يكون هذا الكِبْرُ؟

: إن وُجِدَ الكِبْرُ فلا تسأل . إنه الكِبْرُ فقط .

= إنها تعلم أنني أعبد إلها غير (فرعون) .

: ومن تكون ؟

= (ساهي) ابنة كبير الكهنة (نف سور) .

: يا ويلي أوجعت قلبي يا (أمون) .

= أمي أنا لا أخشاها فقد نظرت إلى نظرة عرفتها منك أنت وحدك، نظرةً

أشعر معها بال.....

: إنها تحبك يا (أمون) .

= تحبني؟! أشعر بهذا

: لا يمكن لمن يراك إلا أن يحبك يا ولدي .

= ألأنني ملك ؟

: بل لأنك أجمل ما تقع عليه الأعين .

= لندعنا من كلمات الإطراء هذه، الآن ماذا سنفعل ؟

: ستُخبر أحدهم بأمرك .

= أخبرتني أنها تخشى أن يعرف أيُّ إنسانٍ بوجودي، وأنا أصدق عينها

مثلك تماماً .

: سَتُخَبِرُ أَحَدَهُمْ صِدْقِي، إِنَّهَا طِبَاعُ الْبَشَرِ، يَضِيقُونَ بِمَا يَنْغَلِقُ عَلَيْهِ
صدورهم .

لن يطول الأمر وسيصل سرُّك إلى قصر (فرعون) .

= حتى وهي تحبني يا أمي ؟

: لا تحاسبها على ما ليس بيدها، إنها بشريه يا ولدي، وحين يقتلها البُعد
ستتكلّم وسينفصح أمرنا آجلاً أو عاجلاً .

= لكنك.....

: اعتزلتُ الناس من قبل لأعبد ربي فقط، والآن اعتزلتهم لأعبده
وأحميك .

صِدْقِي لوكنت بينهم فالله وحده يعلم ماذا كنت فاعلة .

انتظريا (أمون)، انتظر . فلا أحد يعلم ماذا ستحمل لنا الأيام القادمة

إلا من أراد لكل شيء أن يبدأ .

ساعات قليلة كان (أمون) قد باح لها بمكنون أسرارهِ، منذ البدء وحتى
رأها أول مرة، كان أجمل من أن تكذِّبه، كان يبدو صادقاً فكيف يمكن لملكٍ
أن يكذب؟

حدّثها عن (النيل) وتلك العلاقة التي تولّدت بينهما ، (إيجي)، الله،
خوفه من البشر، وأشياء كثيرة كان يحلم بها . كانت كلماته تنساب إلى قلبها
كالدّم في العروق، أحسّت أنه يحمل أحلامها ومشاعرها بداخله، كما لو لم
يكن غريباً عنها . كان القرب يزداد حتى من دون لقاء، القلب يلتهب، ولحظة
الفراق باتت موجعة حد الموت .

أيام وأيام انتظرتَه أن يعود إلى ما بعد الغروب، طال البعد والانتظار لدرجةٍ لم تعد تحتملها. لم يعد هناك مفرٌّ من أن تعترف لنفسها بعشقه . إنها تعشقه بكل كيائها، لدرجة أن العشق بات ظاهراً عليها، وهي لا تنكر هذا أبداً. لاحظت (نانا) ماشطتها تغبّر حالها وشحوب وجهها، تلك الزهرة المضئنة التي كانت تملأ الدنيا عبيراً ونوراً، بدأت تذبل أمام عينها شيئاً فشيئاً ، لم تملك إلا أن تسألها .

: مولاتي (ساهي)، حالك يتغير يوماً بعد يوم، وأرى نور وجهك ينطفئ، ألا تريدان إخباري بشيء ؟
+ أيامٌ عديدةٌ ولم أره يا (نانا)، في كل مرة أتمنى لقاءه، وأخاف عليه أن يعود .

: العشق يقتلكِ مولاتي .
+ فليقتلي، كل ما يهمني هو أن يأمن بطش (فرعون) .
: ولم يبطش به (فرعون) العظيم ؟
+ إن علم أنه يعبد غيره فلن يرحمه، ولن ينجُ .
: مولاتي أي جنون هذا !!! وهل هناك من لا يعبد (فرعون) الأعظم ؟
+ جاهدتُ، لكنه يحب إليه أكثر من حيي (لفرعون) نفسه . لم أكن أتخيل أن أجد من يكفر بإلهنا ويملك ذلك المنطق أبداً . لو سأله (فرعون) لن يكذب، وهنا المصيبة يا (نانا) .

: لا يمكن يا سيدتي أن تعشقي إنساناً كفربإلهنا .
+ أخبرتك أنه ليس إنسان، أقسم برأس (فرعون) أنه ملك . كل ما فيه لا يشبه البشر، والغريب أن كُفّره لم يمنع حبه عني .!
: مولاتي أنتِ تسلكين طريقاً شائكاً قد يكلفك الكثير .

+ أعلم ذلك وأخشاه حقاً، لكنني أريد رؤيته مرةً أخيرةً أخبره فيها أنني أحبه، أحبه جداً، ثم أبعده إلى حيث لا يعرف العذابَ طريقَه، أحب له الحياة أكثر من قربه مني .

: لكن سيدتي، بدأ والداك يلحظان تغيرك وشحوبَ وجهك، لقد سألتني والداك عن الأسباب ووصّتي أن استفسر منك، ولا أجد ما أجيها به، فيم أخبرها في رأيك ؟

+ إياك أن تنطقي بكلمة مما أخبرتك، أرجوك (نانا) أنت الوحيدة بين كل من في القصر التي أسررت إليهما بما في قلبي، أرجوك يا (نانا) لا تجعليني أندم .

: لكنها تنتظر الإجابة .

+ أخبرها أنني مريضة، أو...أوأي شيء .
أي شيء يا (نانا) غير (أمون)، أرجوك (نانا) لا تقتليني .
: أفديك بروحي مولاتي . أمرك، سيكون ما تريدنه .

عندما جلس (أمون) فوق صخرته كان ينتظر، لا يعلم أي شيء ينتظر، لدرجة أنه نسي عدد الأيام، التي باعدت بينه وبين (ساهي)، تلك التي ولدت بداخله مجموعة الأحاسيس الغير واضحة، بالنسبة لمن في نفس عزلته .
لم ينسها قط، كانت الأولى - غير أمه - التي انتمتها بإرادته الخالصة على كل حكايته، وهي الأولى التي حكى لها، كان مجرد الإحساس بأن هناك من يسمعه حين يبدأ حكايته إحساساً ممتعاً، والأكثر حين يكون من يسمعك يهتم لأمرك . الحكى يُشعرنا بالحياة، خاصةً حين تملك داخلك ما يُحكى، كانت عيناه تمثلان له (ساهي) في هيئة أمه، لكن قلبه كان يحمل لها حباً لا يشبه الذي ل(إيجي) .

مشاعره الملتهبة لا يمكن أن تفسرها كلمة أخرى غير "أحب"، لكنه لم يملك الشجاعة ليُعلنها، ربما لأنه يختلف عنها، وربما لم يكن يعرف الكلمة ذاتها، لم يكن يعرف أنها كلمة لن تظل أسيرة الصمت، ستتححرر أو تقتل عشقاً، هي بشرية، فهل يمكن أن يحب بشريةً وهو المملك؟

لَمْ لا؟ ف(أمون) لم يرَ ملائكةً قط . إننا لا نعرف إلا ما تقع عليه أبصارنا، وقد اختار الحظ أن تقع أول ما تقع على أجمل وأرقِ إنسيّة - (ساهي)- تلك التي اخترقت عزلته من دون قصدٍ أو ترتيب، هو القدر بدأ يشعر بالوحدة من بعدها، رغم أن (إيجي) لم تزل تملك نفسَ القدر من الحب له، لكن حب (ساهي) لا يعوضه إلا حضورها .

غريب هو الإحساس بالحب . بدأ يُدرك أنه متنامي، لذا اختار أن يبتعد حتى لا يصل إلى مرحلة اللارجوع .

اختار الانتظار كما أخبرته أمه التي صدقت في كل كلامها، لأنه لم يستطع استعادة حياته الأولى الخالية البال، ربما يتكشّف انتظاره عن وجه لا يريد نسيانه .

كان الشحوبُ قد أنهى مهمته تماماً في وجه (ساهي) والتفت إلى باقي الجسد النحيل، لم تعد تستطيع إخفاء تعيها عن الأعين المتسائلة - أي سحرٍ قد مسّ ابنة الكاهن الأعظم؟! -

صار كل من بالقصر يتهامس دون علمٍ بالأمر، لم يتوقف الهمس حتى طفح الكيل بوالدتها (راميس) بعد أن عرضتها على كل الكهنة والسحرة .

: (ساهي) .

+ أمي .

: ما بكِ يا ابنتي؟

+ لا شيء يا أمي، فقط متعبة قليلاً، ليس هناك ما يدعوك للقلق .
: لم ينجح كاهن أو طبيب في شفائك، كبير أطباء (فرعون) ذاته أخبرني
أنه ما من علة جسدية، فهل في نفسك شيء تودين إخباري به ؟ أخبريني يا
ابنتي . أنا أملك وتعلمين أنني أكثر مخلوقٍ يحبك في هذه الحياة .

+ لا شيء يا أمي، ربما تغيّر الفصول .
: أنتى لا تعين ما تقولين يا ابنتي . أي تغيّر في الفصول هذا ؟!
أتعلمين في أي وقت من العام نحن ؟ لقد قارب الصيف على الانتهاء .
+ اعذريني يا أمي فأنا لا أستطيع الحديث الآن .

: لك فترة لاتجيبني أي شخص عن أسئلته، تلك الأسئلة التي تنخر
جدران قصر الكاهن الأعظم لأول مرة، وعلى يد من ؟ يد ابنته الحبيبة، أخشى
أن يصل الهمس إلى أذن والدك، عندها، أي مهربٍ يمكن أن تجدي من
أسئلته ؟

+ إنك تضحّمين الأمور يا أمي . أرجوكِ دعي الأيام تمر، وأقسم
(بفرعون) الأعظم أنني سأعود (سأهي) التي اعتادها الجميع، فقط امنحيني
الوقت والراحة، لكن اعفيني الآن من الأسئلة فأنا لا أحتمل الجدل .

: أرجو أن تعود (سأهي) أسرع مما أتوقع، فإن أمراً عظيماً ينتظر والدك
أن يحدثك فيه، وأنت تعلمين أي شخص يكون الكاهن الأعظم، سيكشف
سرّك بمجرد أن يغوص في عينيك، لهذا تخلّصي من أسرارك واستعيدي لمعة
عينيك قبل أن تفضحك عينا والدك يا ابنتي .
غادرت مُسلمةً ابنتها للحيرة والتساؤل .

+ أي أمرٍ عظيمٍ ينتظر والدي أن يُفَاتحني فيه ؟ هل وشت بي (نانا) ؟ لا .
لا أعتقد هي لم تفعلها من قبل، ستكون مصيبة لو فعلتها . لا بد أن أراه مرةً
واحدة أخيرة، أريد أن أراه قبل أن أجن .

قاداته قدماه رغماً عنه إلى مكان اللقاء، حيث الصخرة التي اعتادا التسامر عليها سوياً، تحسسها براحته، رائحتها لم تزل تُعَيِّء المكان كله، كانت موجودة منذ وقت ليس بالكثير، كانت هنا تنتظر أن تراه مرةً أخيرةً، كما يريد هو تماماً .

لا يعلم لمَ أرادها الأخيرة، رغم أنه كان يود لو عاش حياته إلى جوارها. إحساسٌ كان يغتال خوفه من البشر رغماً عنه، لكنه أرادها الأخيرة بالفعل. في هذه المرة لم يكن ل(إيجي) أي صلة بالأمر، كان قد قررها أثناء انتظاره، لاشيء سوى أنها بشرية .

كانت كلمات أمه تراوده - أنت شيء وهي شيء آخر - قد يحب ملكٌ بشرية، لكنه الحب فقط، لا شيء غير الإحساس الذي يغزو القلب من دون أي تداعيات أخرى، الحب بينهما سيتوقف عند لفظة الحب .
لم تكن موجودةً لكنه رآها في كل الأمكنة، استحضروها في مخيلته، قرّر أن يحمل قدر المتاح من حبهما وابتعد إلى ما لا نهاية، إلى حيث يبقى الحب دون خوفٍ أو انتظارٍ للمجهول .

لم يعد جسد (ساهي) يتحمل أكثر فانهار مُسلماً إيّاها فريسةً للحُيى، لم تدري كم مرّة من الوقت وهي محمولة، لكنها بدأت تسترجع وعيها شيئاً فشيئاً، فتحت عينيها بوهن شديد لتجد (نانا) جالسةً إلى جوارها تتابع كل لحظةٍ من مرضها .

: المجد (لفرعون) الأعظم على عودتك إلينا يا مولاتي .

+ ماذا جرى ؟

: أصابتكِ الحمى، حار فيها الأطباء لأيام، لكن صلواتنا (لفرعون)
أعادت الحياة إلى جسدك مولاتي .
+ لا أذكر شيئاً .

: انسي كل ما مضى يا مولاتي، لقد بُعثت من جديد . كانت يد الموت
قريبة جداً لكن يد (فرعون) كانت أقرب .
+ أين أمي؟

: لم تفارقكِ لحظةً منذ مرضكِ حتى أصابها الوهن فذهبت لترتاح
قليلاً، لورأيتي كم كانت متلهفةً عليك يا مولاتي .
+ هل علم أحدهم بأمر (أمون)؟

: سيدتي لتكن بداية جديدة

+ سألتكِ هل علم أياً كان بأمر (أمون)؟

: سيدتي أستحلفكِ ب(الفرعون) الأعظم أن تنهي هذه القصة حتى لا
تفتحي أبواب الجحيم عليكِ و.....

دخل (نف سور) والدها، وكبير كهنة (فرعون) إلى الحجرة، فأصابت
الربة (نانا) لحضرتة، نهضت من جلستها ملقيةً عينها في الأرض قائلةً :
- جلالة الكاهن الأعظم .

أوماً إليها برأسه فانصرفت، اقترب من ابنته التي حاولت أن تلملم
ضعفها وتعتدل من رقدتها، لكنه ربّت على رأسها في حنانٍ أبوي، غاب عنها
لفترةً ليست بالهينة .

: ارتاحي يا ابنتي .

أريدكِ أن تتعافي بأسرع ما يمكن، فأنا أحمل لابنتي الجميلة كل الخير .
+ الخير منك وإليك يا أبي .

: هذه (ساهي) التي أعرفها . (ساهي) التي تحب والدها أكثر من أي شيء
في الدنيا . صحيح ؟
+ صحيح يا أبي .

: ارتاحي الآن يا ابنتي، وغداً بعد أن أرى عينيكِ قد استعادتا بريقهما،
سأسمعكِ أخباراً سعيدة . أراكِ بخير يا (ساهي) .
انصرفَ (نف) تاركاً ابنته للفكر والسؤال . يبدو أن الأمور سارت في
مرضها على ما يرام، فوالدها لا يبدو عليه أيّاً من علامات الغضب . لكن
كلمات (نانا) التي سبقتها أعادت القلق إلى نفسها من جديد . إن شيئاً يحدث
لا تعرفه . الغد ليس بالبعيد، لكنه بدا في نظرها أبعد من السماء عن الأرض -
هيا فلتأتِ أيها الغد -

كان صوت صلوات (إيجي) يتسحب عبر الصومعة ، يعرف طريقه رغم
ظلام الليل حيث (أمون) الذي يستقر أمام موقدٍ أشعل نازّه، وانعكس اللهب
على وجهه، ليمنحه جمالاً إسطورياً . لم يمنعه الحزنُ من أن يبدو في عين
القمر وواضحاً جلياً .

كان يخط بعصاه فوق التراب خطوطاً لم يعيها ، عندما تأملها عَلم أنه
كان غائباً عن وعيه، فمحا كل ما قد خطّه دفعةً واحدة، نهض من مكانه
متجهاً إلى (إيجي) التي لم تزل غارقةً في صلواتها .
كانت المرة الأولى التي يقطع صلاتها قائلاً
= أمي فلنغادر هذا المكان .

: كنت أشد حرصاً منك على تركه، ومن الوهلة الأولى، لكنه أمر الله يا
ولدي .

= أمر الله أن يعذبني !؟

: (أمون) ماذا تقول ؟ هل أطاح الحزن برشدك ؟ أنسيت من هوربك أم
كفرت به ؟

تدارك خطاه بسرعة وبدا الإرتباك واضحاً فوق شفثيه .

= أمي، إن هذا المكان يقتلني .

: ويقتلني أنا أيضاً .

= لأول مرة أشعر أن (النيل) غريب عليّ، لم أعد أرتاح لجلستي إلى
جواره . لم يعد يلهمني الحياة كما كان، ربما واحدٌ منا قد تغيّر لذا أريد البعد
قبل أن أن أفقده وهو أمام عيني .

: هذا لأنك تحب يا ولدي .

= أنا ملك يا أمي، لا ينبغي لي أن أحب .

: ربما كنت أول من أخبرك بهذا، وربما كنت على خطأ. فلتعلم يا ولدي
أن الملائكة هي من علّمت البشر الحب، لذا نصحتك بالابتعاد منذ البداية
فأنا أعلم رقة قلبك . هل نسيت ؟ أنا التي ربّتك .

= ولم لم تكبّلي قلبي كما كبّلتني أجنتي ؟

: لو كان الأمر بيدي لفعلتها وأنت صغير، لكنه أمر ربك وهو لم يأمرني
بغير أجنتك ، بل وأمرني أن أفتح قلبك على حبه هو، ألا يكفيك حب إلهك؟
= كنت مكتفياً به حتى وقت قريب إلى أن دفع بها أمام عيني .

: للأمر لا يعلمه إلا هو. أعلم أنه ما إن فُتح القلب فلا سبيل لمنع الحب

من أن يدخله، صدقني يا ولدي لم يكن لي في الأمر يد .

= أصدقك يا (إيجي) وأرجوك أن تطاوعيني . هيا نللم أشياءنا ونرحل

عن هذا المكان، الذي بدأت أكرهه .

: كم أود أن أأخذك إلى أبعد مكان عن هنا لكي لا أستطيع، لم يأت أمرٌ

الله بالرحيل .

= إذا صلي له يا أمي ، توسلي له أن يكفف الآمي ويتركنا نرحل عن هنا .
أتوسل إليك أن تصلي بكل ما أوتيت من الدموع.
: أفعليها في كل ساعةٍ يا ولدي..... أفعليها.
دع الأيام تأتي بما لا نعلم، فلربما حملت ما يريح قلبينا.
= أشعر أن القادم يحمل لنا قدراً من الخير.
أدار ظهره بعد تأكده من عدم جدوى التوسل للرحيل، تاركاً قلب أمه
للرجفة والخوف، فلم تكن تصدق جملته الأخيرة مطلقاً.

البراءة المطبوعة في عيني (ساهي) أضعف من أن تواري أسرارها عن
عيني والدها (نف)، كانت عيناها هي مدخل روحها وذلك شأن كل الأنقياء. لم
يكن يستكشف جديداً. كان (نف) من ذلك النوع من الرجال الذين لا يمكن
للأسرار أن تصمد أمام أعينهم الثاقبة طويلاً، بل تكشف هي عن نفسها
راغمةً، أكسبه ذلك ذكاؤه الحاد وكهانتها العليا لمعبد (فرعون) الأعظم، وربما
في هذه الحالة..... حبه لابنته الوحيدة (ساهي) .

كان يعلم الأمر كله منذ بداية مرضها، إن كانت (نانا) قادرةً على أن تمنع
وعياها من البوح، فقد نطق اللاوعي مع أول سؤال ألقاه (نف) على مسامعها .
: إبنتي الجميلة . أرى الشمس قد طلعت فوق جبينك مرةً أخرى .

+ بصلواتك لأجلي يا أبي الحبيب .

: صلواتي (لفرعون) الأعظم واهب الحياة والموت. صحيح ؟

قتلها السؤال

+ وهل يُصَلِّي لغير (فرعون) الأعظم يا أبي !!؟

: جميل.....جميلٌ جداً. والآن ألا تريد ابنتي الحلوة أن تعرف سري

الصغير؟

+ أي سرياً أبي؟

: السر الذي وعدتك أنه سي جلب عليك السعادة بالأمس .

كانت جد خائفة، حتى أن فضولها لم يقدر على ذلك الخوف، فلم تنطق

: يبدو أن ابنتي قد أفقدها المرض فضولها الذي عودتني إياه. على كل

أنا من يريد البوح بسرّه لأحب المخلوقات إلى قلبي (حور محب) .

كانت تعرفه، تعرفه تماماً، فقد كبرا معاً حتى أنهما اقتسما كل

طفولتهما وبعض الشباب سوياً، إلى أن أخذ موقعه في قيادة جيوش

(فرعون) الأعظم تحت والده القائد الأكبر، لكنها نطقت مستغربةً

+ (حور محب) ???

: نعم يا (ساهي) (حور محب)، ابن قائد جيوش (الفرعون) . تعرفينه

جيداً، كنتما أقرب الأصدقاء منذ الطفولة وحتى البلوغ .

صار شاباً يافعاً بارع الحسن، ومحط إعجاب (الفرعون) نفسه .

+ ومالي به؟

: حادثني والده في أمر زواجك من ابنه. هل تعلمين ؟ كدت أنسى أنك

تكبرين أمام عيني . يبدو أنك ستظلين صغيرة في عيني والدك للأبد، وقد

فضّلت أن أدعك تستردين بعضاً من عافيتك قبل أن أزف إليك النبأ السعيد

أليس سعيداً يا (ساهي) ؟

إجتزّ خيالها كل ما دار بينها وبين (أمون)، وجهه يرتسم في عينيها، شديد

الجمال، بارع الحسن، وغايةً في السحر .

كرر والدها عليها سؤاله حين شردت منه

: أليس سعيداً يا ابنتي ؟

رسمت (ساهي) فوق ملا محها ابتسامةً باهتةً، لم يلبث والدها أن أدرك كذبيها حين أجابت
+ بالطبع يا أبي . سعيد .
تجاوز جملتها المرتبكة

: ستون يوماً من الآن وحتى موعد الزفاف لتتجهزي، يريد (فرعون) الأعظم زفافاً أسطورياً، أنت تعلمين أنه لا راد لإرادة (فرعون)، لن تشهد بلادنا زفافاً مثله لأنه يجلي وأنا لا أعصاه أبداً . تسمعيني جيداً ؟ لا أعصى (فرعون) الأعظم أبداً يا (ساهي) .

بعد أن غادر (نف)، استعادت (ساهي) مشاعرها الطبيعية دفعةً واحدة، فلم تحتمل عينيها وبكت بمرارةٍ شديدة، ربما كان أصعب بكاءٍ مارسته منذ أن عرفت الدنيا .

كانت تعشق (أمون) الذي يحتل كيانها ببساطةٍ شديدةٍ وعنّفٍ أشد، حين أعملت عقلها وجدت أن زواجها سوف يبعد (أمون) عن حياتها للأبد، لكنه سيبعده عن حنّفه، تمنّت أن يكون أيضاً للأبد، لكن شيئاً في كلمات والدها كان يخيفها ويجبر الحكاية ألا تنتهي مع زواجها .

برقت عينا (فرعون) الأعظم حين استمع لكلمات (نف سور) كبير كهنته.

(فرعون) الذي سجدت له ممالك الأرض المعلومة وقتها يحوي في مملكته هومن لا يعترف به إلهاً، بل ويجرؤ أن يعبد من دونه آخر .
كانت الكلمات صاعقة له ربما لأنها المرة الأولى .

كان (نف) يعلم أنه يفتح في وجه (فرعون) باباً ليس من الحكمة أن يُعرّف ما وراءه، لكن حبه لابنته أجبره أن ينه المسألة ويقتلعها من الجذرقبل أن تحرق الجميع .

: ومن يكون أيها الكاهن الأعظم ؟

_ يُدعى (أمون) أيها العظيم، يسكن مع أمه المدعوة (إيجي بتاح)، في صومعة على جانب (النيل)، ليست بالبعيدة عن قصرِك سيدي .

: يعبدون إلهاً غيري ويسكنون بالقرب من قصرِي !! شيءٌ جميلٌ أيها الكاهن، ومن يكون ذلك الإله الذي يشاركني في هذه الأرض ؟

_ يقولون أن إلههم يسكن السماء لا القصور ليس له شريك فيها، هو من أوجد الأرضَ ومن عليها حتى حتى (فرعون) الأعظم نفسه .

: يبدو أن هناك تقصير من رجال الدين في حقي لأجد بجوار قصرِي من لا يعبدني، ويعلنها .

_ أقسم بك أنت

قاطعه (فرعون) صارخاً بقسوةٍ لم تحمل قسماته مثلها من قبل، وموجهاً كلمته لقائد جيوشه (بتاح) .

: هل تعلم من إله غيري يا قائد الجيوش ؟

* أبداً مولاي المعظم .

: صعدت فوق صرحي العظيم فهل رأيت إلهاً غيري يا كبير الكهنة ؟

_ كنت أنت وحدك أيها العظيم .

نظر إلى (بتاح) نظرة توقّف الدم معها عن السرّيان في عروقه

: انتنى بهذين المخرفين حالاً مكبلين بالأصفاد، وإذا لم أرَ إلهيما بعينيّ

فلينجّهم من عذابي الأليم .

أقسم بعزّتي أنا إلهكم الأوحد، أن أجعل من يجعلونه إلهاً من دوني
وفوق أرضي يبكي لرؤيتهم يصرخون من العذاب، وإيّاك أن تتأخّر فإني
منتظر.

* أمرك إلهنا الأوحد (فرعون) العظيم .

كان (أمون) سارحاً في أحلامه رغم النهار، فالنهار يملك أحلاماً كما
الليل، لكن أحلام النهار أكثر قدرة على التحقّق .
كان صوت (ساهي) أكثر الأصوات التي يحلم بسماعها، وعندما أتاه
واقعاً أدرك أنه آخر الأصوات وقتها.

هبّ من جلسته مدهوشاً .

= إنه صوت (ساهي) !!

كان الصوت يناديه بكل ما أوتي من قوة، وخوف

+ (أموووووون) .

بدأت صورتها تتضح في عينيه، تطير صوبه، فجرى نحوها من دون وعى .

= (ساهي) .

لم تصدق أذنها حين سمعت صوت (أمون) مرّة أخرى، وربما أخيرة،
حين تلقّفها من فوق فرسها كانت دموعها لم تزل تجري فوق وجنتها .

+ (أمون). هيا اترك كل شيء وارحل مع (إيجي) .

= (ساهي) ماذا تقولين ؟

+ ليس هناك وقتاً للشرح .

جنود (فرعون) من خلفي قادمون لأجلك أنت، و(إيجي) .

= ذعت سري يا (ساهي) ؟

+ العتاب لن يفيد الآن يا (أمون)، هيا ارحل واترك كل شيء، هيا فالجند قادمون.

= حذرتني (إيجي) أن البشر لا يكتمون سراً، حتى وهم يعشقون .
+ نعم بُحْت بكل شيء رغم حيي، هيا ولا تناقش، يمكنك أن تنعتني بأبشع الصفات لكن ليس في وجهي، فلا وقت تضيعه مع من باحت بسرك، يبقى الآن أن تبتعد عن هنا بكل ما أوتيت من قوة، أرجوك أن تحيا لأجل أمك التي حفظتك، هي الوحيدة التي لن تُسلمك يا (أمون) .

هيا ارحل . لم يعد لك مكان فوق هذه الأرض .
رغم الوجد الذي ولّدتَه كلمات (ساهي) بقلبه، إلا أنها كانت محفّزة لكل ما فيه أن يبتعد، أول ما فكر فيه كان أمه (إيجي) .

منح (ساهي) نظرةً تحمل كل ما أراد قوله من دون كلمات فأمات روحها، ثم أطلق لساقيه العنان، أخذ يطوى الأرض طياً تجاه الصومعة التي تحوي أحب المخلوقات، وأبقاها إليه.

وصل الصومعة وأنفاسه تهدّج، فتح الباب ليجد أمه ملقاة على الأرض، مقيدةً ومعصوبة العينين، ومن حولها ستة من جنود (فرعون) يكملون المشهد الشديد القسوة .

صاحت (إيجي) بكل ما أوتيت من قوة :

اجريا (أمون)، اهرب يا ولدي . اهرب .

لكن (أمون) لم يجب طلبها، بل أجاب الأمر الذي يليه.

- اركع على ركبتيك، أو نقتل أمك .

"ركع (أمون) على ركبتيه مستسلاً، ومُسلاً كفيه للتراب .

- هيا انزعوا ملابسَه . أريده عارياً .

صرخت (إيجي) صرخةً تحمل كل الخوف من أن تنكشف الحقيقة،
التي دارتها سنوات طويلة من عمرها، عمرها الذي وهبته خالقها عن آخره،
و(أمون) .

اهرب يا ولدي لن يُبقوا على حياتك إن بقيت، تستطيع الهرب يا ولدي،
هيا افعليها لأجلي، لأجل (إيجي)، لا تدع شيئاً ينهيك .
= أموت وصورتك مطبوعة في عيني، خيرٌ من أن أموت بعيداً عنك يا
أمى .

- انزعوا ملابسهم وقيدهم إلى الحصان . أريد لِحُسن وجهه أن ينطفي قبل
أن يركع أمام (فرعون) الأعظم .

عندما نزع أقرب الجنود إليه لباسه العلوي لم يمنع نفسه من أن
يشهق، كان مشهد أجنحته المقيدة إلى ظهره مدهش بحق .

* يال(فرعون) العظيم .!!!! أي كائنٍ هذا ؟

إقترب قائدهم منه، وتأمل قيودَ أجنحته المهيبة .

- من تكون ؟

= (أمون) ابن (إيجي بتاح) .

: اهرب يا ولدي أرجوك .

- ليس للبشر أجنحة يا هذا .

= خُلقت هكذا .

اقترب منه، وتحسس أجنحته .

- أي شيء تكون ؟!! كم جناح هم ؟

أمسك سكينه وقطع رباط أجنحته بحذر، فتحررت الأجنحة في وجه
الجميع، أربعة أجنحة ضخمة شفافة، دبّت فيها الحياة، أو كانت تنتظر أن
تحيا من جديد، ترى من خلفهم ضوء الشمس اللامع، وصفاء سمائها . تراجع

الجنود في خوف، وحذرٍ شديدٍ، تأملهم الجميع بمن فيهم (أمون) نفسه، رفَّ بأجنحته لأول مرة فتراجع الجنود أكثر. بدا وكأنه معجب بتلك الأجنحة التي غابت عنه لسنوات من عمره، فوجود الشيء لا يعنى بالضرورة إدراكه، لكنه أدركه الآن، وأدرك تلك الرغبة الملحة في إطلاقهم في وجه الشمس . في تلك الأثناء كانت (ساهي) قد وصلت إلى الصومعة، لتري المشهد الذي برقت عيناها لأجله، كان وجودها مصدراً آخر للدهشة بالنسبة للجميع . لِمَ تتواجد ابنة الكاهن الأعظم في هذا المكان ؟ وفي تلك اللحظة.

اقتربت منه مسلوبة الوعي، تحسست (ساهي) أجنحته برقة مندهشة، همست في أذنه

+ طريا (أمون) لأجل (إيجي)، ولا تعود أبداً.

صرخت (إيجي) : طَرياً ولدي . طَرياً كنت تحبني، موتي لن يقتلني لكن موتك سيقتلني آلاف المرات .

التفت إليها، راودته فكرة تحرير أمه لكن سن الرمح كان أقرب إلى عنقها منه، دار خلفه ليتقابل مع عيني (ساهي) .

: طَريا (أمون)، وابق حياً لأجلي، وأجل ربك .

كانت كلمات (إيجي) واضحةً وصادقة، صدقها (أمون) ، ارتفع في عيون الجميع وطار طار في عين الشمس أمام الكل بعد أن منح (ساهي) نظرةً حملها فيها كل ذنوب الأرض .

صاح أحد جنود (فرعون) لهول المشهد

* إنه ليس بشراً، إنه إله .

طعنه قائدهم في بطنه بسيفه علي الفور صائحاً

– اصمت أيها اللعين . ما من إله تؤسر أمه أمام عينيه .

سجد أخرفي وجه الشمس فصاح القائد بنفس قسوة طعنته السابقة.
- قيدوا هذا الكافر إلى فرس واسحلوه حتى قصر إلينا (فرعون) المعظم
تردد الجنود وهم يقيدون زميلهم إلى الفرس فقد بدا الأمر حقيقياً، حتى
أنهم من الداخل ودوا لو أنهم فعلوها، فلم يرَ كائناً يطير من قبل ولا حتى
(فرعون) العظيم، لابد أنه حقاً.....الله.

كان صوت صراخ (فرعون) بحق مفزعاً للجميع، تلبّس الشيطان وجهه
العابس فبدا أشد قسوة، تأمل منظر (إيجي) الملقاة عند قدميه، وبقايا
الجندي الذي سجد، وابنة (نف سور).

: إذا فابنتك تعشق من يكفربي يا كبير كهنة معبدي ؟

لم تكن صلواتك هي ما أنبأتك بأن هناك من يعبد إلهاً غيري . كيف
جرؤت على الكذب في عيني إلهك أيها الكاهن ؟
كان (نف) قد ابتلع لسانه عن آخره، فلم يجد ما ينطق به أمام اتهام
(فرعون).

: وأنت يا قائد جيوشي . ألا تستطيع تربية جنودك ؟ وهم من كنت
أظنهم في طاعتي حتى الموت.

حاول (بتاح) أن ينطق بأي عذر، حتى وإن كان غير مقبولاً لدى
(الفرعون) .

_ مولاي

: أي مولى أصبحت أنا ؟ جنودي يسجدون لمن هو دوني أمام عينيك، بل
وخوفهم مني لا يردعهم عن السجود، أي مبررٍ ستختلق يا قائد الجيوش ؟
يبدو أن الكهانة وقيادة الجيش تحتاج لرجال ثقات .

غرق (بتاح) في حرجه، ولم تطفُ كلماته فمات الكلام .
التفت (فرعون) إلى (إيجي)، وتأملها باستغرابٍ من لا يجد مبرراً لأن
تكون الساجدة أمامه أمأً لإله . إنها لا شيء أكثر من بشرية مسكينة مرتمية
عند قدميه في استسلام وضعف .

: إذا فابنك إله مثلي . هل هذا صحيح ؟

أجابته في ثبات من لا يعبأ بالأمر كله :

- لم يكن (آمون) إلهاً قط، ولن يكون .

: غريب جداً، رغم أن هذا اللعين - مشيراً للجندي الذي سجد - ظنَّه

إلهاً وسجد له .

- فليظن ما شاء . أنا أعلم الناس بولدي، لم ولن يكون إلهاً .

: إذا فأنت تعترفين ب(فرعون) إلهاً لك ولولدك .

- ليس هناك إله إلا الله .

ضحك (فرعون) ساخراً

: ذلك الذي يسكن السماء ولا نراه .

- ذلك الذي خلق السموات والأرضَ ومن فيهنّ .

أخذ (فرعون) يردد جملتها الأخيرة وهو يدور من حولها

: ذلك الذي خلق السموات والأرضَ ومن فيهنّ..... حتى (فرعون)

الأعظم ؟

- نعم حتى (فرعون) الأعظم .

: يبدو أن إلهك لا يرى أني إله مولود من صُلب إله .

- إنه يرى ويعلم كل شيء .

إِذَا فَهَلْ سِيرَاكِ حِينَ تَذُوبُ عِظَامِكِ فِي الزَّيْتِ الْمَغْلِيِّ؟ هَلْ سِيرِقُ قَلْبِهِ
لِسَمَاعِ صِرَاخِكَ وَأَنْتِ تَحْتَرِقِينَ أَمَامَ عَيْنِي؟ هَلْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْجِيكَ مِنْ
عَذَابٍ أَلِيمٍ قَدَّرْتَهُ أَنَا عَلَيْكَ؟

سَحَبَ سَيْفًا مِنْ غَمْدِ قَائِدِ جِيُوشِهِ، وَلَوَّحَ بِهِ أَمَامَ عَيْنَيْهَا
: وَهَلْ سَيَمْنَعُنِي أَنْ أَقْطَعَ رَأْسَ هَذَا الْجَنْدِيِّ الَّذِي كَفَرْتَنِي الْآنَ؟
قَطَعَ رَأْسَ الْجَنْدِيِّ الْمَتَهَالِكِ بِضَرْبَةِ سَيْفٍ وَاحِدَةٍ أَمَامَ الْجَمِيعِ،
فَتَدَحْرَجَتْ رَأْسَهُ إِلَيَّ قَدَمٍ (إِيحِي)، الَّتِي أَشَاحَتْ بِوَجْهِهَا، وَصَرَخَتْ (سَاهِي)
حِينَ لَامَسَتْهَا بَعْضُ دِمَائِهِ الْمُنْتَوْرَةِ .

التفت (فرعون) إليها متعجباً
: عَفْوًا كَدْتُ أَنْسَاكِ أَيَّتَهَا الْعَاشِقَةُ، عَشَقْتِ مِنْ لَا يَعْْبُدُ (فِرْعَوْنَ) يَا
ابنة الكاهن؟

ارتجف جسدها الضعيف، حتى كادت تسقط مغشية عليها
+ لم أكن أعلم أنه يعبد غيرك يا مولاي. وحين علمت ابتعدت قدر
استطاعتي .

: حَتَّى أَنْكِ طَرَبْتِ لِتَحْذِيرِهِ مِنْ غَضْبِي .
+ الْعِشْقُ ذَنْبِي أَمَا أَنَا فَلَا أَعْبُدُ سِوَاكَ سَيِّدِي .
: أَلَمْ يَسْحَرْكَ مَعْشُوقُكَ حِينَ طَارَفِي عَيْنَ الشَّمْسِ؟
+ لَمْ يَدَّعِ أَنَّهُ إِلَهٌ مِنْ قَبْلِ .
التفت إلى (نف) وقال ساخرًا

: مَا زِلْتِ ابْنَتِكَ تَحْتَفِظُ بِإِيْمَانِهَا الصَّادِقِ، ذَنْبِهَا الْوَحِيدِ أَنَّهُا وَقَعَتْ فِي
العشق، ابنة الكاهن الأعظم تعشق عدو (فرعون)، يا لها من مزحة سخيفة،
أيها الكاهن (نف) ليس لي أبناء ولا بنات، ولا أعرف قسوة الشعور بفقدان
الابن . هل جربته من قبل؟

لم يجروء (نف) على النطق

صاح (فرعون) في الجميع

: ابعدهم عن ناظري الآن حتى أستشير كاهني الأعظم فيما سيكون من

أمرهم. فمزال هو الكاهن الأعظم .

ثم تابع : حتى الآن .

كان مشهد ارتفاع (أمون) إلى السماء أسطورياً، لا يمكن أن يخفيه السر كمشاهد كثيرة تحدث كل يوم. همس من بقى من جند الأسرى أذان رفاقهم ليلاً بكل ما قد حدث، وأقسموا برأس (فرعونهم) على صدق كلامهم ، في أقل من ليلة كان خبره قد ذاع في أنحاء (مصر) كانتشار النار في غابة جافة، وعلم كل (المصريين) بأمره، صار أسطورتهم التي تحتل كل مجالسهم .

ذلك الغير بشري الذي طار في عين الشمس أمام الأعين الموجودة حينها، حتى أن صوتاً من بين الجموع صاح - أكيد أنه الله - .

ليلة واحدة استطاع الخبر فيها أن يتسلل عبر معبد (فرعون)، وكأن الحكاية تجري جريان (النيل) نفسه، حتى أن الكهنة تهامسوا فيما بينهم . - ماذا يمكن لذلك ال(أمون) أن يكون؟- كيف صارت حكايته تسري بين الجموع بهذه السرعة المخيفة ؟ لابد أن شيئاً عظيماً سيبدأ ولن يتوقف إلا بإرادته .

حين تلوك الألسن حكايةً، فإن الكل يصوغها على هواه، حمّله الناطقون ما ليس فيه وصاغوا أسطورته حسب ما يعتقدون لا حسب الحقيقة؛ التي ضاعت حين فُتحت الأفواه ."

همس أحد الكهنة في أذن (نف)

: أخشى أن تسلب أسطورته ألباب المصريين .

أنت تعرفهم جيداً حين يؤمنون بشيء، حتى وإن كانوا هم صانعوه. لن
يسامحنا (فرعون) إن علمَ بالأمر.

أجابه (نف) شاردأ

- ولن نفلت إن حلَّ علينا سخطه، سيعلم كل شيء، يبقى شيء واحد
فقط . ماذا سأقول له بعد أن يعلم ؟

تأمّلت (إيجي) الجدران الصخرية الرطبة، التي تحوطها وتمنعها عن
العالم . كانت قد أُنذرت صوماً عن الكلام مع البشر، لكن صيامها لم يمنعها
من أن تحدّث قلبها عن (آمون)، هدية السماء التي صارت مصدرهمها. كان
هو ما يشغل كل بالها، لا تهتم لما قد يصير لها، المهم أن يحيا (آمون) بعيداً
عن عين (فرعون)، ويده، وغضبته.

كانت تعلم أنه ابتعد، وربما كان هذا ما يبقيا على قيد الحياة حتى
لحظتها، دعت ربها لو أنه لا يعود أبداً، لو أنه يرجع إلى السماء، لربما هدأت
ثورة الأرض، وخوفها عليه .

لم يمنع باب الحجر المغلق على (ساهي)، ولا انهيار دموعها، صوت
صراخ (نف) في وجه زوجته، من الوصول إليها بكل ما يحمله من غضب،
كادت جدران القصر تتشقق لصيحاته الغاضبة .

: أَمْنَتِكِ عليها حتى أفسدتها علينا، وعلى (فرعون) . ألم يصلك همس

كل من في القصر بأنها عشيقة ذلك ال (آمون)، حتى أنها مرضت بحبّه ؟

بسببها سيهدم (فرعون) معبده فوق رؤوس كل كهنته وخدامه، سيحل
الشر على البلاد مع غضب (فرعون) ولن ينجُ أحد، ستطال غضبته الأرض و
السماء .

منحتها الحرية لتخرج بين الشعب حتى عشقت ملعوناً منهم، سيُقضى
عليّ وعليك وعلى الجميع . إنها اللعنة تتلبسنا، وكل هذا بسببك أنت وابنتك
الخاطئة .

جلس (فرعون) فوق عرشه. وكلّه كبر وخيلاء، يضع تاجه الذهبي، كأنه
يُثبّت إلهيته في عين كل من يراه، يثبت لكل من يراه أنه إلههم المقدس، لم
تبدُ تلك النظرة الوحشية عليه منذ زمن الحرب، الذي ولى منذ سنوات، لكنها
عادت لتؤذن بحربٍ جديدة، ربما يبدأها (فرعون) مع شعبه، الذي صير
(آمون) مقدساً بقلوبهم، رغم أنهم لم يعلنوها بألسنتهم حتى الآن، وهو لن
ينتظر حتى يعلنوها .

دخل (نف) إلى حضرته، يدفع خجله أمامه، وخوفه بادٍ لإلهه .

: مرحباً بكاهني الأعظم (نف سور) .

- في خدمتك مولاي، وإلهي .

: توارد إلى سمعي، أن أمر (آمون) قد ذاع بين الدهماء والعامّة، منذ

الأمس .

- إنهم جهلاء يا سيدي، لا يجيدون إلا الكلام، ولا يعون ما ينطقون .

: يمكن للسيف أن يسكتهم عن الكلام للأبد . أليس صحيحاً ؟

- تقتل شعبك يا مولاي ؟!

: الكافرين بي منهم .

- لن يُنسهَم السيفُ مشهد طيران (أمون) في عين الشمس مولاي . لقد ربطوا بينه وبين الشمس المقدسة، وإن أسكت السيفُ بعض الألسن، فلن يطفئ الشمس في عيون الباقين .

: هل جُننت أيها الكاهن ؟ ماذا تقول أيها اللعين في وجهي ؟!! إنك تمدح

غريبي .

تحرَّج (نف) وهو يقول:

- عفوك سيدي ومولاي، أنا لا أقدر أن أفعلها، وأنت الأعلم بأمرى، لكن قتل كل من آمن به مستحيل سيدي، سيفيض (النيل) دمًا، فما تتحاكي به الألسن ليس بالهين على عقول العامة والدهماء .

- هل تعني أن واحداً مثل (أمون) أياً ما كان يستطيع أن يهز عرش

إلهكم؟

- إذا أذِنَ لي إلهنا المُعظَّم، فأنت تملك ما تخرس به الألسن من دون

سيفٍ سيدي .

: سيدك ؟ أى سيدٍ أكون بعد ما قد بُحت به في حضرتي أيها الكاهن ؟!!

- صدقني إلهي وإله الأرض جمعاء . الحل بين يديك من دون أي ضرر .

: وما هو ؟

- (إيجي) (إيجي بتاح)، تلك التي يدعوها أمه .

: سأحرقها في الزيت بعد ساعاتٍ وليستجب ولدها الإله لصراخها .

- ليس الآن سيدي .

: تجرؤ أن تأمرني ؟

- بل أصدِّقك النصيح مولاي المُعظَّم .

: هات ما عندك أيها الكاهن . ماذا تقصد ؟

- أعترف أنني أخطأت في تربيته لابنتي (ساهي)، وأعرف أنها تستحق أن تُحرق في الزيت من قبل (إيجي)، وأعلم أن كرمك ورحمتك هي ما تبقيها على قيد الحياة إلى الآن، لكنك برحمتك سيدي أبقيت على السلاح الوحيد، الذي يُمكنك مولاي من ضرب ذلك ال (أمون) في مقتل .

بدا الانتباه على ملامح (فرعون) وهو يسأل

: وما هو أيها الكاهن ؟

- عَشَقَهَا له يا مولاي، وعشقه لها، هذا ما يشيع بين العوام .

: وَتَعُدُّ ؟

- مُرِّبَاعِلَانِ زَوَاجَهَا المُرْتَبِّ ل (حور محب) إِبْنِ قَائِدِ الجِيُوشِ، وَقَرِيبِ موعده قدر المستطاع .

اعلن أن الإله العاشق لن يستطيع منع حبيبته من الزواج بغيره ثم قدّم أمه (إيجي) قرباناً فوق مذبحك؛ وأمام الشهود جميعهم أثناء الحفل،
وعندها

سرح (فرعون) في خاطره وهو يردد

: إله لا يستطيع حماية أمه من أن تُحرق قرباناً ل(فرعون) الأعظم؛ في

حفل زواج حبيبته .

أي إله يكون هو !!؟

شَقَّتْ ابْتِسَامَةَ المُنْتَصِرِ طَرِيقَهَا إِلَى شَفْتِي (نف)، بينما تابع (فرعون) بصوت جهوري سري في كل البلاد عبر طرقات قصره المنيف .

: اعلنوا في البلاد كلها خبر الزفاف على شرف الإله المزعوم، عندها

سيسقط (أمون) من سمائه .

أو يطلع علينا من جديد، وعندها - ضاحكاً - سأثبت للجميع أنني أنا

الإله الواحد من دون شريك .

لم يعلم (أمون) كم من الأميال قطعها في طريقه، ترك (النيل) وراءه
وابتعد حتى لم يعد (للنيل) وجودٌ من خلفه، لم يكن الإجهاد ما أجبره أن
يحطَّ فوق إحدى القمم الشاهقة، وإنما رغبته في ألا يبتعد أكثر.
حين حطَّ اجتزَّ كل ما قد حدث في رأسه فثار كل ما فيه، حتى أنه جمَّع
ثورته في قبضة يده وضرب الجبل بها، فاخرقت يده الصخر الصلد واهتزَّ
الجبل من تحته .

تأمل قبضته مدهوشاً، لم يكن يعلم أنه يملك مثل هذه القوة، ولم
يتركه ماضيه يستخدمها من قبل .

كانت يده سالمةً من دون أذى، رغم علمه أي فعلة قام بها . تولَّدت طاقة
هائلة كانت كامنة فيه منذ أن وُجد، سمح لها أن تجتاحه كله لأول مرةٍ
ففاضت على ما حوله، تحسس صدره القوى، انفردت أجنحته في وجه
الشمس فبدا مهيباً عظيماً، صرخ صرخةً حمَّلتها كل ما يعتمل فيه من ألم
وقوة .

= (إيجي).....

لم تلبث قواه أن خانته فارتمى فوق الجبل وغطَّ في إغماءٍ طويلة .
لم يتوقع (أمون) أن تأتيه (إيجي) بمثل هذه السرعة .
هي لا تملك أجنحته، ولا قوته، نهض فزعاً حين رآها أمامه .

= (إيجي) !!!

ابتسمت في وجهه فأنارت دنياه

: كيف حالك يا ولدي ؟

= أموت من دونك .

: لا يا ولدي أريدك أن تحيا لأجلي .

التفتت لتغادر

= إلى أين أنت ذاهبة يا أمي ؟

: سأتيك كل يوم في مثل هذا الوقت .

= لال لال أدعك ترحلين بعد أن وجدتكِ ثانية .

: إن كنت تحبني ابتعد ولا تفكر حتى في البحث عني .

اقتربت منه وأمسكت رأسه بين كفيها .

: عدني يا (أمون) من أجلي من أجل أمك التي تحبك .

= أعدك يا أمي .

: لن أتأخر.....كل يوم في نفس الموعد .

= سأنتظركِ .

قبَّلت الضى في جبهته فانتنفض (أمون) من غفوته، فأدرك أنه كان

حلماً، عندما تلفت في كل ما حوله لم يجد (إيجي)، لكن ما استغربه حقاً أنه

كان لا يزال يشعر بقبلة أمه مطبوعة فوق جبينه .

داربعينيه في كل الاتجاهات وهو يكرر

= لقد كانت هنا كانت هنا .

ذاع خبر زفاف (ساهي) في كل شبر من أرض (مصر)، ليس لأنها ابنة

الكاهن الأعظم وإنما لأنها حبيبة (أمون) .

علمَ الجميع المغزى من هذا الإعلان وفي هذا الوقت بالذات، تحاور

(المصريون) فيما بينهم .

: هل تعتقد أنه سيتركها تتزوج وهو الذي يعشقها ؟

- بل هل سيترك أمه قرباناً تحت قدمي (فرعون) الأعظم ؟

: سيفعلها (الفرعون) ولن يمنعه أي شيء من أن ينفذ إرادته، لن يترك
إلهاً آخر يزاحمه عرشه .

- أتوق لمعرفة القادم، أما الآن فليس علينا سوى الإنتظار.

: سيكون مشهداً رائعاً، لقد فُتِح القصر على مصراعيه أمام الشعب
المصري .

- وأنا أول الحاضرين .

: لا يهمني من يسقط ومن يعلوا، المهم تلك الوليمة التي أعدها

(فرعون) لشعبه على شرف زواج ابنة الكاهن الأكبر؛ وابن قائد الجيوش .

- سأحرّم الخمر على نفسي يومها، حتى لا تفوتني لحظة من المشهد .

: أما أنا فسأتخم بطني، حتى لا أعود أرى شيئاً .

ضحك الاثنان فلم يستغرب من حولهما، الجميع ملتفون حول نفس
الشيء منذ البارحة .

لم تكن (راميس) من ذلك النوع من النساء اللاتي يملكن في صدورهن

كتلة رقيقة تُدعى القلب، فقد طبعت بطباع (نف) زوجها كبير الكهنة .

لم تحمل في عينيها نفس القدر من الذكاء، لكنها كانت تملك نفس

القسوة الظاهرة في العيون، بل ونفس كلماته الباردة حتى مع أقرب الناس

إليها، ابنتها (ساهي) .

: بقي تسعة وعشرون يوماً على زفافكِ .

+ مَرِيومٌ واحدٌ يا أمي .

: غريب ألا تشعرني بقيمة كل يوم تبقيه على قيد الحياة من الآن .

فلتُقبلي قدمٌ والدك الكاهن الأعظم الذي ألهمه عقله الحكيم مثل هذه

الفكرة، لينجيك من غضبة (الفرعون) الأعظم .

+ أدعوله في كل صلواتي .

ضحكت ساخرةً

: وأي صلواتٍ ؟ تلك التي (لفرعون) أم ذلك المدعو (أمون) ؟

+ لا أعرف إلا صلاةً واحدةً هي (لفرعون) .

: يبدو انه ما زال برأسك شيئاً من العقل حتى الآن، عليك أن تدركي

أهمية الوقت من اللحظة وحتى زفافك، مريومٌ وموعد الزفاف ليس بالبعيد.

نادت (نانا) فجاءتها مهرولةً .

- أمرك سيديتي .

: هيا لتبدأوا تجهيزها للغرس من الآن . خذوها واغمرها جسدتها في الماء

المقدس علماً تخلّص من لعنة الشيطان التي مستها .

- أمرك مولاتي .

منحت ابنتها نظرةً قاسيةً وانصرفت تاركةً الفرصة ل(ساهي) كي تُفليت

دموعها، حاولت (نانا) أن تربت على كتفها مواسيةً، ازاحت (ساهي) يدها

بقسوة صارخة فيها

+ ابعدي يدك اللعينة عني، أنتِ من بدأها، لا أريد أن أراك بعد اليوم .

تراجعت (نانا) مرتعبةً وأسفةً أيضاً، أما (ساهي) فقد انخرطت في بكاء

شديد .

كانت تعلم أن (أمون) بعيد، لكنها كانت أكيدةً من أنه سيعود لنهايته،

ليس لأجلها وإنما من أجل من أحبته ولم تؤذّه، من أجل (إيجي) . لقد تحررت

أجنحته أمام عينيها ليبدأ النهاية التي أخبرها هوبها من قبل .

مرّت الأيام على الجميع بطينةً كسلحفاةٍ عجوز، الوحيدة التي كانت تشعر بسرعتها (ساهي) فقط، كانت تمر عليها مَرّ الريح، لحظات تنقضي من دون وعي، بقى عشرون يوماً ويبدأ الحدث الأعظم في كل البلاد، لم يكن لشخص من فيه وإنما لأنه كان تحدياً بين ألوهية (الفرعون) الأعظم، وذلك ال(أمون) المجنح .

عشر أيام انقسم فيها الشعب إلى قسمين يتفان في انتظار السقوط، الأول يتوقعه (للفرعون)، والأخرى (أمون)، وكأنه رهان كبير أطرافه الآلهة، أو أشباههم .

دارالحوار بين (فرعون) وقائد جيوشه (بتاح).

: هل تعتقد أنه سيأتي يا قائد الجيوش ؟

- حتى وإن أتى يا مولاي فسيأتي لنهايته .

: لن أتحمل منك أيها القائد خطأً آخراً . وقتهاسيكون الأخير .

تلعثم (بتاح) وهو يقفز فوق جملة (فرعون)، ويتخطاها

- مولاي المعظم . إن (أمون) نفسه لم يعلن أنه إله، ألا تذكر كلمات أمه

. وهل يجروء أن ينطقها، وعلى الأرض إلهها ؟

: وهذا ما يحيرني يا (بتاح)، ماذا قد يكونه إذا ؟ ما هذا الكائن الذي

يملك أجنحة تطير به في عين الشمس وترفعه في السماء ؟ حتى وإن لم يصرّح،

يستحيل أن يكون بشرياً .

هل تعلم يا قائد الجيوش ؟ لقد أمرت كهنتي العلماء أن يخلقوا لي مثل

تلك الأجنحة لأرتفع بها فوق الأرض . يبدو أن إلهك دبّت في نفسه الغيرة يا

(بتاح) .

كان (بتاح) يدرك شعور (الفرعون) جيداً، فهو من أقرب الناس إليه

ومن السهل أن يتبين ذلك القلق الذي يعتمل في عقله، فأراد أن يريحه .

- إن كان الهاً مثل (فرعون) المعظم لا يملك أجنحة فلا بد أنه شيطان من يملكها يا مولاي .

كانت كلمة (بتاح) هي الضالة التي وجدها (فرعون)، منذ أول لحظة ظهر فيها (آمون) أمام الأعين .

شيطان ؟ نعم شيطان . إن لم يكن إلهاً وهو لم يعلنها، فإذا هو شيطان، لقد هرب من بطشي نعم هو شيطان . فالشيطان لا يهرب إلا من إله، وأنا إله .

طال الفرح قلبه وضحك قائلاً

: نعم أيها القائد، لي عمرٌ لم أسمع منك قولاً أجمل مما قلته الآن . (آمون) هو الشيطان وحين يسقط في قصري سيرى الشعب كله كيف سيغلب الله الشيطان اللعين، سأصوّر كل ما سيحدث على جدران معابدي ، سأنحته في صخر الجبال لأبقى الله الذي كسر الشيطان إلى الأبد .

كانت (ساهي) متأكدة أن جسدها لن يجوز إلا لاثنين، (آمون) أو الموت، كانت ترفض أي شيء عداهما، رغم استسلامها تماماً لوصيفاتها في المسيح المقدس، يغمرونها بالماء ويمسحونها بالزيت الكهنوتي المقدس، كانت تعلم أن أمراً عظيماً تحمله الأيام القادمة . أمرٌ أكبر من زواجها ب(حور محب)، والذي لم تكن لتتمنى أفضل منه يشاركها أيامها لولا أن ظهر (آمون) بدنياها .

وفي الجانب الآخر، كانت ذكرى (ساهي) تذبج (آمون) بكل لحظة . تلك التي أسلمته للنهاية، عندما برد دمه اكتشف أنه لا يستطيع أن يكرهها . كانت أحوالها تقلقه إلى الحد الذي لم يستطع طيف أمه الذي صدقه الوعد كل يومٍ أن ينسه إياها .

كان الانتظار الذي يحياه فوق جبله المختار ليحط عليه مكوّن من مكونات شخصيته التي فطمته (إيجي) عليها . فهي لم تمنحه أبداً القدرة على البدء في أي شيء، كانت هي الحياة كلها، وهي بداية كل شيء، لذا لم يكن يدري أي خطوة عليه اتخاذها، لكن فطرته فرضت عليه إنتظار القادم . فقط الإنتظار.

لم يعد للأيام حسابها، فلم تعد (إيجي) تعباً بمزّها من خلف الجدران، المهم أن حبيبها (أمون) لم يزل سالماً، بعيداً عن أعينهم . كانت على وعدّها تزوره كل يوم في نفس الميعاد، كانت تترك روحها تتخطى الجدران الباردة، وتحطّ حيث يصلى فوق الجبال، كانت تسمع صلواته لأجلها، وتصلّي لأجله . وفي إحدى غفواتها جاءها الرسول .

- سلامٌ عليكِ يا (إيجي) .

: عليكِ السلامُ أيها الملك . طال انتظاري لمجيتك أيها الرسول .

- ليس الأمر بيدي يا (إيجي) إنني مأمورٌ، أتيكِ حين يُحمّلني ربك رسالةً .

إنه يعلم ما قد حلّ بكِ وولدك ويخبرك أن جزاء صبرك على البلاء هو

الجنة .

ابتسمت مرتاحةً في نفسها وسألته

: و(أمون) ؟

- (أمون) بمأمنٍ من كل شرٍ إلا واحداً .

: أنا افديه بنفسي .

- ربما كان الشر منكِ أنتِ يا (إيجي) .

: يا ويلي الشرمني أنا ؟!!! لمن ؟ ل(أمون) ؟ يعلم ربي كم أحبه وأخشى

عليه مسّ النسيم .

- البشرييتغيرون يا (إيجي) .

: إلا الأم .

- لستِ أمه وأنتِ تعلمين .

: لكَيِّي.....

- حاولي أن تحافظي على شعور الأم إلى النهاية يا (إيجي) . ابقى أمّاً له

فيسلم (أمون) من كل الشرور، حتى شرُّك أنتِ.

اختفى من بالها ففتحت عينها مدهوشةً . كانت كلمات الرسول

واضحة لا تحتاج أي تأويل، نظرت إلى أعلى تسأل ربهـا .

: إلهي كيف يكون الشرمني إليه وأنا أكثر من يحبه في هذه الدنيا ؟

أقسم ألا أتردد في قتل نفسي إن كانت تحمل شُبهة أذى ل(أمون) فتغضبك،

أقسم أن أقتلها .

كانت تعلم جيداً أن أمرقتل نفسها ليس بيدها، فبكت بكاءً مريراً .

لم تكن قارة (أطلانتس) وهماً كما يعتقد الكثيرون بل حقيقة . ازدهرت حضارتهم لمئات السنين في قلب المحيط، تلك اليابسة التي اختارتها السماء لتقوم عليها أقوى الحضارات الإنسانية على الإطلاق، لم يكن (الأطلسيون) بحاجة للأرض، فقد كانت أرضهم تكفيهم وتفيض، كانوا يتعاملون مع الباقي من الكرة الأرضية على أنها هامش الحياة، يسكنها البدائيون، وظلوا يهيمشون البدائيين جيلاً وراء جيلٍ حتى نسوهم تقريباً، ونسيهم أيضاً الآخرون .

كانت حضارتهم مترفعةً عن العنف والقسوة البشرية المعروفة عن البدائيين، وكانهم درسوا سلوكهم البدائي وعالجوه في أنفسهم، لذا أغلقوا عليهم قارتهم واختاروا البناء، فكان لهم ما أرادوا من رفعةٍ وتقدم .

كانت بدائية من يحيون على باقى الأرض تكفيهم شرمهم، فما من سبيل للوصول إليهم عبر ماء المحيط المنيع، إلى أن اختارت السماء أرضهم لتنفصل عن باقي الكرة وتصير قمراً . اهتزت الأرض من تحت أقدامهم وتهدمت حضارة كلّفَتهم مئات السنين في لحظات، غرقوا في الماء وارتفعت أرضهم أمام أعينهم إلى السماء بكل ما عليها تاركةً إياهم إلى قاع المحيط .

بقى من بقى، وغرق من غرق ، لكن من بقى منهم كان يحصى بالملايين، عندما حطَّ أول فوج منهم على اليابسة تحسسوا ثباتها في حذرٍ شديد حتى تأكدوا من سلامتها، توافد الملايين من الماء إلى شمال غرب (إفريقيه) .

كان أول ما صنعوه تمثالاً ينتصب في وجه المحيط ليقمهم شرهياج مائه، كان تمثالاً ضخماً من الحجر لآلهتهم الأعظم (لاهان) .

سجدوا جميعاً وشكروا له أرضهم الجديدة، دعوه أن يثبّت الأرض من تحت أقدامهم، ثم عاودوا البناء علّهم يلحقوا ما قد فاتهم .

كانوا بشعورهم الشُّقْر وعيونهم الزُّرق وأجسامهم العظيمة لا يشبهون من يسكنون الشمال حينها، كانوا يدركون بدائيتهم، حاولوا أن يتجنبوهم، لكن اللقاء كان حتمياً، وأيضاً الصدام .

إصطدم (الشماليون) و(الأطلسيون)، لم يختر (أبناء الماء) - كما سمَّاهم سكان الشمال - الحرب، لكن سوء تقدير أهل الشمال لخصمهم أرغم (أبناء الماء) على الدفاع عن وجودهم ورغبتهم في البقاء، صمدت الأسوار بينهم وبين أهل الأرض الأصليين قليلاً، فالوقت لم يمنحهم ما يكفي، لكنها سقطت وتقابل الفريقان .

بعد أول حرب تطبَّع (ابناء الماء) بطباع غيرهم من البشر، وكأن الدم حين يسيل في الأعين يشعل فتيل القسوة بالنفس، علموا أنه لا حياة لهم بأمانٍ فوق هذه الأرض إلا أن يزول الشكل البدائي للبشر . كانوا يجرفون الأرض جرفاً بأقدامهم القوية الواثقة تحت راية قائدهم (مارون)، الذي نادى فيهم أن - طهِّروا الأرض مما عدانا، ولا تبقوا عليها من أحياء لنأمن شرهم - فقد أرادوا أن ينهوا الأمر سريعاً، ليستعيدوا حضارتهم التي أجلتها الحرب .

زحفوا من الغرب وحتى (ليبيا)، ماحين كل ألوان الحياة من كل شبر داسته أقدامهم، كانوا يستخدمون ناراً حمراء مرعبةً أهلكوا بها أعداءهم دون تمييز، حتى وصلوا إلى حدود (مصر)، كانوا قد نسوا عدد الأميال التي فاتوها من ورائهم، فأشار (مارون) إلى شعبه أن استريحوا الآن حتى يأتيه أمر (لاهان) معبودهم بإكمال المسير . مسيرة التطهير التي أرغموا عليها رغم قسوتهم الظاهرة .

نزع من نجا من مذابح ومحارق (ابناء الماء) باتجاه الشرق، لاجئين إلى أرض (فرعون) المعظم، الوحيد الذي ظنَّ الباقيين أنه يقدر على وقف الزحف المائي ولو حتى كذباً .

كانت الوجوه منحوتةً من خوف وفزع شديدين، لا تحتاج سوى نظرة
فيها ليشيع الرعبُ بين المصريين. حتى ظن أبناء (مصر) أن (ابناء الماء) ليسوا
بشراً.

روايات النازحين جد مفزعة، مصبوعة بلون الدم والموت، إلى أن
وصلت تلك الحكايات إلى بلاط (فرعون) المعظم، نادى قائد جيوشه وكبير
كهنته ليستين الأمر.

: ومن يكون (أبناء الماء) يا قائد الجيوش ؟

تحرَّج (بتاح) في إجابته

- لم يصلنا عنهم إلا روايات مولاي العظيم .

: وماذا تقول رواياتك أيها القائد ؟

- إنها إلى حدٍ ما وحشيَّة .

: وحشيَّة؟! وحوش يعسكرون على حدود مملكتي ولا أعلم عنهم شيئاً،

أليس غريباً أن يظهروا فجأةً بمثل هذه الأعداد الكبيرة ؟

- لقد أعددت العدة لصدِّهم يا مولاي، جنود (الفرعون) العظيم في

أشد حالات التأهب، والجاهزية .

: جيوش (فرعون) المعظم تتأهب للقتال و(فرعون) نفسه لا يعلم ؟ أي

مزحة سخيفة تلقمها على أيها القائد ؟

- كان لديك ما يشغلك مولاي ولم أُرِد إقلاقك .

: أي شيء يشغلك عن مُلكي وأرضي أيها المخبول ؟ ذلك المجنَّح (أمون) ؟

أرضي على حافة الاجتياح من دون علي، أقسم أنك قد جُننت . من أين

أتى هؤلاء القوم ؟ وكيف نزحوا إلى حدود مملكتي ؟

- الروايات تقول أنهم أتوا من المحيط، نزحوا بالملايين إلى اليابس، كل همهم هو القضاء على أي شكل من أشكال الحياة، ولم يُفلتوا حياً في طريقهم إلينا .

: هذا يعنى أنهم لن يتوقفوا أمام حدودنا طويلاً .
- جيشنا أعظم الجيوش على الإطلاق مولاي، وقد أعددتهم بنفسى لصد زحف (أبناء الماء)

قاطعه (فرعون) صارخاً فيه
: هراء هراء كل ما أسمعك منك هو هراء، هل ستنتظرهم عند (النيل) أيها القائد ؟ أو أمام قصري ؟
- لا يمكن أن أبعثر جنودي في مساحات شاسعة، فهم أكثر عدداً وعدّه، إنهم بالملايين يا مولاي .

: ملايين يقفوا على بابي، وأنا مُنتظرٌ أن يدقوا الباب .
التفت إلى (نف)

: هل لديك حل أيها الكاهن الأعظم ؟
كان الموقف قد أنساه وجوده أصلاً في المشهد
* مولاي نحن نصلي

قاطعه (فرعون) وصوته قد استحال إلى صراخ
: كلكم مخابيل، محاط أنا بمجموعة من المخابيل كنت أظنهم حكماء .
أيها الحراس أمّنوا القصر بكل جندي فوق أرض (مصر)، اغلقوا الأبواب ولتتوقف مظاهر الحفل إلى الأبد .

تفجّر الخوف في نفوس (المصريين) كلهم بعد أن وصل مبعوث (ابناء الماء) اليوم التالي، يشبههم تماماً، لكن شيئاً في لمعة عينيه بدا مستغرباً، كان رافعاً رأسه إلى السماء، في كبر يعلوا كبر إلههم، حتى أنهم شكّوا في قدرة (فرعون) على دحضهم كما يشكّون في قدرتهم على عبادة ذلك الضعيف بقصره .

كانت الرسالة منتقاة الألفاظ بعناية (أن سلموا أرضكم، وعيشوا عبيداً تحت راية (مارون) الكبير، أو نمحوكم أنتم وأثاركم من فوق الأرض). في أي حالٍ آخر كان الجميع يعلمون ردة فعل ال(فرعون) على مثل هذه الرسالة، لكن (فرعون) لم يأمر أبداً بقطع رؤوسهم حتى وهم يجرفون حفنةً من التراب إلى سرج خيلهم؛ وينطلقون .

كانت الرسالة قاسية لدرجةٍ بنّت الرعب في قلوب جند (فرعون) أنفسهم، زاد من قسوتها تلك الروايات المتتالية من ناحية (ابناء الماء) إلى أرض (مصر) عن مدى وحشيتهم وشراستهم، التي لم تكن من أصلهم . كانوا يدافعون في البدء عن بقائهم والآن يرفضون وجود غيرهم .

بدأ (المصريون) يتحدثون فيما بينهم .

: لن ننجوا أبداً حتى وإن سلمناهم الأرض ورضينا أن نعيش عبيداً فيها .

- إنهم يقتلون كل ما تطوله أيديهم، يسلخون جلود البشر أحياء

ويحتسون في جماجمهم الخمر، إنهم وحوش .

: ليس لنا أمل سوى بالرحيل عن (مصر) .

- لدينا الوقت لنفعلها، عن نفسي سوف أُلّم أشياءي وأقلت بأبنائي،

سأرحل عبر (سيناء) ولتحترق (مصر) و(نيلها)، و(الفرعون) أيضاً .

: هيا إنهم على المشارف علينا أن نقلت بأرواحنا . لم يبق لنا شيء في

(مصر) سوى الموت، لن يكفيننا لا (فرعون) ولا (أمون) شر (أبناء الماء).

شدة الاحتياج يمكن أن يصنع أبطالاً، وقد حدث بعد أن فقد (المصريون) ثقمتهم في (فرعونهم) الذي ترك رسل (أبناء الماء) يذهبون أمام عينه؛ مانحاً رؤسهم الحياة رغم تهديدهم له واستقطاعهم من أرض (مصر) أمام الحاضرين .

بدأت سيرة (أمون) تعود وتعلو، ربما لأنه لم يكن موجوداً وقتها، ورغم قناعتهم الكاملة بأنه لا سبيل للنجاة من بين برائن (ابناء الماء) إلا أن بعضهم كان يملك بقية رجاء في ذلك المجنح (أمون)، بل أقاموا له الصلاة خارجين على (فرعون) المعظم، ونقشوا اسمه على أبواب منازلهم .

لم يكن الحوار السابق بين اثنين من (المصريين) فقط، بل كان حواراً بين غالبية (المصريين)، أعلنوها صراحة - الهرب من (مصر) هو السبيل الوحيد -

حتى جُند (فرعون)، انسلّ عددٌ ليس بالقليل من بين صفوف الجيش، تاركين كل شيء من وراءهم، فلا شيء بعد الروح يمكن للإنسان أن يُبقى عليه، ولا شيء بعد الخوف يمكن أن يفر منه إنسان، حتى أن ثقة الجنود الباقين اهتزت بشدة وباتوا أكيدين أن صفوفهم لن تصمد ساعةً واحدة في وجه (ابناء الماء) المتوحشين، كل الأمارات تؤكد هذا .

تحسس (فرعون) عرشه وقد أصابه الرعب إلى حد المس، لم يعد جنده كافين لدحر سيرة (أمون) التي عادت، وزاد أتباعها، يعلم أنه شيئاً فشيئاً سيتجرأ عليه الناس وسيسقطون إلههم إذا ظلت الأمور في نفس طريقها .

: إنه عرشي، عرش (فرعون) الأعظم، مازلت إلهكم أيها (المصريون) ولن يسلبني العرش أي مخلوق ولو كانوا (ابناء الماء) .

هيا فلتأتوا إلى نهايتكم، ستكون هنا فوق أرضي أنا إله الأرض
والسموات، عندها سأحرق كل من تجراً ونادى ب(أمون) إلهاً في الزيت
المغلي.

كرسي العرش يملك سرأ يمنح الجالس عليه شيئاً ويسلب الراحل عنه
شيئاً، وبين رحلة الجلوس والرحيل استعداد تام للتضحية بكل شيء ولو
بالنفس، ربما أنها أشياء لا يعيها إلا مُريديه وقلّة ممن لا يريدونه .

دخل (بتاح) إلى بلاط (الفرعون) منزعجاً للغاية

- سيدي . منحونا إسبوعاً وبعدها سيبدأون الزحف .

: سيبدأون الزحف ؟ جهز الجيوش .

- سيدي إن شعبك يهرب عبر (سيناء) تاركاً كل شيء وراءه .

: إقتلوهم . إقتلوهم كلهم .

- حتى جنود (فرعون) المعظم، عدد ليس بالقليل منهم انسحب من

الصفوف ورحل مع باقي الشعب، إن البلاد نفرغ من أهلها .

: كيف تركتهم يرحلوا أيها المخبول ؟

- أعدادهم كبيرة يا مولاي، ستكون مذبحه لا قبيل لنا بها في الوقت

الراهن إن اعتراضنا طريق الفارين . نحن لا نتحمل حرباً أخرى مع الشعب .

: يوجد بأرضي ما يكفي ليُضحى من أجل إلهه .

- الكثير منهم يقيمون الصلاة لذلك المجنح (أمون) لعل النجاة تكون

بيديه .

: ذلك الشيطان اللعين . أي جحيم ألقى به فوق أرضي ؟

- لم يعد لنا من سبيل سوى الرحيل يا مولاي .

: أهرب ؟..... وأترك عرشي ؟

- نهرب قبل أن نُقتل يا مولاي، نفلت بأرواحنا وبعدها يكن ما يكون .

: لا لن يحدث ذلك أبداً، لن أنزل من فوق عرشي أبداً وليذهب الكل إلى الجحيم، لتحترق (مصر) وشعبها و(نيلها)، ولتحترق أنت أيضاً، أنا الله . (فرعون) الأعظم سيبقى إلهاً إلى الأبد إلى الأبد .

كان (أمون) بمنأى عن كل الجاري في البلاد، لا يشغله إلا صلواته وطيف (إيجي) الذي لم يتأخر في زيارته ولو مرة، كان يشعر بالسلام مع كل شيء كما كان من قبل، بدأ تطهير روحه من كل ما حدث، حتى (ساهي) التي لم يقدر أن ينساها من قبل، بدأ النسيان يبهت صورتها في ذهنه رويداً، رويداً . وبينما روحه معلقة بالسماء لمح من فوق جبله جموع (المصريين) تهجر بلادها إلى اللاشيء، تجرُّ فزعها من خلفها، لم يكن بباله أنه يوجد كل هذا الجمع من البشر على وجه الأرض، إنهم بالآلاف، كيف أمكن لأمه أن تخفيه كل ذلك الوقت عن أعينهم ؟ أدرك مدى معاناتها الشديدة طوال السنين الماضية، كيف يمكن (للمصريين) أن يهجروا (نيلهم) الطيب ؟ لم يكن يعلم سبب رحيلهم في ذلك الاتجاه، ولم يحاول أن يسأل نفسه، لقد عقلِ الدرس الماضي ولن يخلف وعده ل(إيجي) أن يبتعد عن البشر ما حيا .

هؤلاء الذين حاولوا إيذائه لمجرد أنه ملك أو لأنهم لا يملكون أجنحته، ظن بهم غير ذلك لكن (إيجي) كانت أعلم بهم منه .
أتاه صوتٌ يحمل في ضعفه الأمانَ من خلفه .

: إلهي (أمون) ؟

التفت خلفه مدهوشاً، تأمل الوجه المتكلم للحظات .

كانت الصورة مشوشة في ذاكرته، يعلم أنه التقاه من قبل، ولأن عدد الوجوه كان محدوداً في رأسه لم يأخذ وقتاً طويلاً ليتذكره، رغم أنه حاول أن يحوكل الوجوه . إنه أحد الجنود الذين حضروا لحظة أسره هوو (إيجي) .

= لست إلهاً يا هذا .

: رأيتك بأم عيني ولم أنسك من وقتها، حين أطلقت أجنحتك وطرقت في عين الشمس .

= نعم أذكرك، لكنني لست إلهاً أنا (أمون) .

: لا تعلم مقدار سعادتي لرؤياك سيدي (أمون) .

= أظنك ممن كانوا يطلبون أسري .

: كنت مأموراً مولاي، أما الآن فنحن ننجوا بأرواحنا من بطش (ابناء

الماء) .

= (ابناء الماء)؟! وهل للماء أبناء يا هذا؟! قل لي، هل تعلم أي شيء عن

(إيجي) أمي؟

: كان (فرعون) ينوي حرقها في الزيت المغلي، قرباناً له في يوم عرس

(ساهي) ابنة كبير الكهنة .

= ماذا؟ سيحرقها!!؟

لم يدركم ارتجف قلبه حين سمع جملة - عرس (ساهي) - لكنه لم يُظهر

اهتماماً إلا بأمه .

: نعم كانت ستقدم قرباناً له، لكن زحف (ابناء الماء) إلى أرضنا أوقف

كل شيء . فرغ ال (فرعون) لصد جحافلهم الغازية، نعلم أن الأمر محتوم

فهرينا .

= (ابناء الماء)؟ مهلاً فأنا لا أفهم ما تقول .

: أتوسل إليك سيدي انجدنا من يد (ابناء الماء)، إنهم لا يبقون حياةً على أي شبرٍ تطأه أقدامهم .

= (إيجي) . كل ما يعنيني هو (إيجي) .

: لن يفلتوها إن لم تنقذنا من (ابناء الماء)، إنها سجيننة قصر (فرعون)

وإن لم يتوقف زحف جيوشهم فلن تنجو . انجدها وانجدنا معها أرجوك .

لم يخبره طيف (إيجي) أياً من هذا، كان يعلم أنها تفضل الموت ليبقى هو سالمًا، نسي كل وعوده في لحظةٍ، فقد كانت توسلات الجندي صادقة، فرد أجنحته في وجه السماء وطار يعرف هدفه جيداً إنه قصر (فرعون) الذي علم أنه ليس بعيداً عن (النيل) .

نادى الجندي بصوت جهوري من فوق الجبل

: يا شعب (مصر) . لقد عاد إلهكم (أمون) ليُنجيكُم . عاد (أمون) من

جديد .

ارتفعت الرؤوس إلى مصدر الصوت، هالهم مشهد (أمون) فاردأ

أجنحته في السماء كريح مُرسلة فسجد كل من رآه من دون وعي .

كان هبوط (أمون) أمام الأعين الزائغة أكثر أسطوريةً من حفل تأليه

(الفرعون) الأعظم ذاته، حتى (فرعون) لم يصدق عينيه اللتين غادرتا

محجرهما حين حطَّ (أمون) ساجداً عند قدميه .

كان قد سمع، لكن رؤيته بأَم عينيه أثارنا فيه العجب والتساؤل - هل

يمكن له أن يكون إلا إله؟! لا عَجَب إن عبوده من دوني!! -

لم يدرك كيف سيربر (للمصريين) أنه إلههم بعد ما وعته عيناه، بل كيف سينكره بعد أن رأى ذلك الملك المجنح الذي هزَّ عرشه وسجد له الحاضرون؛ من دون أن يأذن لهم (فرعونهم)، حتى أنه هو نفسه ودَّ لو سجد لولا ذلك الكبر الذي يسكن وريده .

رفع (أمون) رأسه وقال بصوت خفيض

= مولاي (فرعون) . أقدم نفسي فداءً لأمي (إيجي) . فهل تقبل ؟

لم يصدق (فرعون) أذنيه . لحظات من قبل لم يكن يعرف كيف سيفلت بعرشه من أمام ذلك الملك المجنح، ولأن يقدم (أمون) رأسه على طبق من ذهب إليه ليبقى (الفرعون) إلههم الأوحد .

لم يكن (فرعون) يعي الموقف بكامله، أسئلة كثيرة تراحمت في رأسه ولا إجابة، حتى الخوف من المواجهة الذي بدأ يخفت في داخله شيئاً فشيئاً لم يفسر أسئلته، عادت مشاعر الإله النابضة فيه تحل محلها من جديد لكن على استحياء، حين استلَّ سيف (بتاح) من غمده بيده المهتزة، كان يتساءل في نفسه - هل سيموت ذلك ال(أمون) إن طعنه بهذا السيف ؟-

كان (نف سور) متابعاً لكل ما يجري من دون أن يقدر على النطق، لكنه استعاد تلك القدرة دفعة واحدة حين رأى يد (الفرعون) تمتد إلى السيف مرتعشةً، فتحرك إليه ومال على أذنه هامساً .

- مولاي المعظم، أرجوك لا تفعلها الآن .

تعجب (فرعون) . فتابع (نف) قوله:

- إن قتلته الآن فلن تستطيع أن تقتل سيرته بين الناس، كلهم رأوه وسجدوا له، سيعتبرونه إلهاً مضحياً لأجل أمه، وماذا سيحدث إن لم يمت بضربة سيفك؟

أنا لا أستغرب أبداً أن يحيا بعد طعنك له، فكل ما فيه عجيب وقتله
لن يكون أقل عجباً، وقتها سيصير إلهاً رغماً عن الجميع، وستضيع هيبتك
مولاي حتى النهاية .

كانت كلمات (نف) جد مؤثرة حتى أن (فرعون) سأله مرتبكاً :

وما رأيك يا كبير الكهنة ؟ ماذا أفعل الآن ؟

- دعه يهلك نفسه بنفسه .

: فسّر قولك أيها الكاهن .

- ساومه مولاي، اطلب منه طلباً لا يقدر عليه إلا إلهٌ مقابل من جاء إلى

هنا ليفديها، أمه .

: ماذا ؟

- مُره أن يأتِ برأس (مارون) قائد (أبناء الماء) إن كان إلهها كما يدّعون،

وقتها إمّا أن ينجح وينقذ مُلكك، أو يموت بعيداً عن بلاط قصر مولاي من
دون أدنى مجازفة.

كانت كلمات (نف) ماكراً، وجدّت صداها في عقل (فرعون) على الفور

حتى أنه صاح في الجميع .

= سجدتم له من دون أمري، بهرتكم أجنحته ومنظره العجيب ونسيتم

الذي أنتم في حضرته .

التفت إلى (أمون) .

والآن أيها المخلوق العجيب المدعو (أمون)، إن كنت إلهاً بحق.....

قاطععه (أمون) بهدوء

= لست إلهاً سيدي .

انفجرت أسارير (الفرعون)، وبرزت ابتسامته فوق شفثيه حين سمع

الجملة الأخيرة .

: أتسمعون جميعكم ؟

إنه يعترف أمام (فرعون) الأعظم أنه ليس إلهاً ومازلتُم له ساجدين؟! حتى وإن كنتم تظنونهُ إلهاً فلن أقتله بل سأثبت لكم أنه لا يقدر أن يكون إله، سأطلب منه طلباً لا يقدر عليه إلاإله .

(آمون) أيها المخلوق العجيب الذي لم أر مثله من قبل، إن تأتي برأس (مارون) ملك (أبناء الماء) فسأحرر أمك بل وزيادة .

منح (نف) نظرة غير مستأذنة .

سأزوجك من حبيبتك، كما أظن..... (ساهي)

برقت عينا (نف) ذاهلاً

بل وأكثر من هذا سيكون حفلكم هنا في قصري وتحت ناظري،

أبارككم أنا (فرعون) إلهكم المعظم .

لم ترتفع أي من الجباه الساجدة رغم فضولهم الشديد الذي ملكهم؛ بعد كل ما سمعوه، لكن (آمون) تجرأ ورفع رأسه في وجه (فرعون) .

= ومن هو (مارون) ؟ ولم أقتله ؟

: هو قائد جيوش (أبناء الماء)، الذين يدقون أبواب بلادنا، يسوقون

الموت أمامهم، يريدون محو أهلها وسلبهم و(نيلهم) .

= من دون سبب ؟

: إنهم يقتلون من دون سبب .

تذكر كلمات أمه (إيجي) - سيقتلونك يا ولدي من دون أسباب - عندها

أدرك أن البشر قتلة بطبعهم ومن دون أي أسباب، قرر أن يُنجي أمه من بين هؤلاء المخابيل، ويرحل معها إلى أبعد ما يكون، نهض منتصباً في قوة أرجعت

الوقوف إلى الورا .

= سأتيك برأسه يا مولاي، لكن أرجوا أن تتذكر وعدك أمام الجمع الحاضر وقتها .

: إن صدقت سأصدقك .

= سأصدقك يا مولاي، سأصدق بإذن الله .

جمّع كل قوته في جناحيه وطار أمام العيون الساجدة، مانحاً إياها قدراً هائلاً من الذهول وقدراً أكبر من الكلمات التي ستصير روايات بين (المصريين)؛ إلى نهاية الزمن .

في بعض الأحيان يكون للموقف تأثيرٌ غير مرئيٍّ أشد من تأثيره الواضح للعيان، هذا ما قد خلفه ذلك المشهد الرهيب الذي ظل الجمع أسيره لفترة ليست بالقليلة، كان واقفاً يشهد الموقف كله، لم يصدّق ما رآه، بدا له وكأنه يستدعي ذكرياته الميّتة .

: ماذا قد يكون هذا ال(أمون) ؟

إنني أعرف تلك الهيئة بل أحفظها عن ظهر قلب، أنا من أخفيت ورتّبت شبيهه من قبل، لا يمكن أن يفلت من تحت يديّ إن من أبناء (إبليس)، ما هذا الهراء الذي يحدث ؟

قال كلماته وهو يرى أحد أبناء أبيه في هيئته الجنّية الكاملة، أكيد أنه ابن ل(إبليس)، ليس هناك (أبالسة) آخرين، هذا عهد الله لأبيه، فكيف نجا من بين يديه هاتين ؟

ماذا سيقول ل(إبليس) العظيم ؟ وكيف يمكن أن يُخفي مثل هذا الأمر عنه ؟ سيعلم إن أجلاً أو عاجلاً بأمر ذلك ال(أمون) حتى وإن لم يخبره .

كانت الدهشة والأسئلة تزاخم في رأس (سيرايل)، لم يستطع أن يصدق ما قد رآه، كان من بين الحضور في بلاط (الفرعون) المعظم ينتحل شخص أحد الجنود ليحمل أخبار القصر إلى أبيه .

: اللعنة، لا بد أن أخبره وإلا أطفأ ناري إن علم من غيري .

سأكون أنا المتهم الأول في هرب أحد أبنائه، وربما فُتحت أبواب الماضي على مصراعها من جديد لتقذف بي و(ميركو) إلى أعماق الجحيم . لقد مررها من قبل ببساطة شديدة وغريبة، ربما أنه أراد ألا يُذكر اسمها في حضرته من جديد، وربما غلبه وجع قلبه، والآن كيف ستمر؟

أي لعنة سوداء أُلقت بذلك ال(أمون) في بلاط القصر أمام عيني ؟
كنت أعلم أنّ فعلتي ستجلب على اللعنات، حتى وإن أوهمتنا السنون غير ذلك . إن ذلك ال(أمون) يعيد كل شيء إلى نقطة البدء .
ماذا سأفعل؟؟؟

كانت ملامح وجه (سيرايل) فاضحةً لما تحمله من أخبارٍ ربما تعكّر مزاج (إبليس)، لم يكن (إبليس) بحاجة لنطق (سيرايل) كي يعرف أن أمراً خطيراً حدث، طلّةً في وجه أول أبنائه تبعها صوت ينبع من أعماق جهنم .

: أي شرٍ تحمله الآن يا (سيرايل) ؟

لم يكن (سيرايل) قد تجهّز للكلام، فخرجت الكلمات متخبّطة غير ذات معنى .

: هل نسيت الكلام ؟ إن وجهك يذكّرني بتلك اللحظة الباقية حتى النهاية .

كانت لهجته كقيلة أن تنطق الصخر، فقال بصعوبة بالغة وبخوف ظاهرٍ .

- مولاي وسيدي (إبليس)، جنتك أحمل ما لا أطيق وما لا أصدق .
: انطق أيها اللعين .

- سيدي رأيت اليوم ما أذهلني في بلاط (الفرعون) .
ساخراً :

هل عاد يعبد الله ؟

- لا يا مولاي إنه إنه (أمون) .

: ومن يكون ذلك ال (أمون) ؟

- هذا ما أذهلني ويخيفني حتى الآن . إنه يشبه يشبه أبناءك يا سيدي وإلهي .

: ماذا تقصد بكلماتك اللعينة ؟ انطق .

- كنت في بلاط (فرعون) متخذاً صورة أحد جنوده، أتابع كل ما يجري بأمرك أيها العظيم، سمعت حديثاً عن مجنح يدعى (أمون) خلب (المصريين) ألبابهم، حتى أن البعض اتخذوه إلهاً، صلّوا له في معابدهم .
: مجنح ؟

- نعم سيدي .

وحين حطّ أمام عيني في البلاط لم أصدقها، أقسم بك أنت أنني لم أفلت أياً من أبنائك حتى لحظتنا ، عندما هبط من السماء سجد عند قدمي (فرعون) . و..... وجدته يشبه أبناءك .

: كيف يشبههم ؟

- يشبههم إن أبقيتهم على صورتهم الجنية، إنه يشبه ابن(ميرو) .

ذلك الذي أنهيته في ماء (النيل) منذ عشرين عاماً أمام جموع الشياطين سيدي .

كيف يكون ذلك ؟ لقد احترق ابنها أمام الجميع .

- نفس الملامح سيدي، تلك التي لا أنساها ما أبقيت على حياتي، أجنحته الشفيفة، زرقة عينيه، شعره المذهب، كأنه منسوخ منه، لكنه ليس هو مولاي، هو آخرٌ.

نهض (إبليس) من فوق عرشه محملاً بغضبٍ قوّاه إصرار (سيرايل) على صدق كلماته . صرخ بقسوة:

: ومن قد يكون يا (سيرايل) ؟ هل هناك أبناء لشيطان آخر ؟ أم أنك فقدت صوابك اللعين ؟ أأنت أنا (إبليس) الوحيد فوق هذه الأرض ؟ أليس هذا ما يميزني عن خالقي ؟ للأرض أرباب كثر بين الناس وشيطانٌ واحدٌ، هو أنا وأنا وحدي .

- بالطبع مولاي وسيدي .

: والآن تأتي إلى وتقول أن لي ابناً على قيد الحياة، بقى على صورته التي

حرّمها على جميع أبنائي ؟ أي أكاذيب تسوق إلى أمها اللعين ؟

- حاشاك أن أكذب في حضرتك سيدي، أقسم بك أنت أي كدت أجن

حين رأيته يطير أمام عيني، وكان على أن أخبرك بالأمر مولاي .

: تخبرني أنك أفلتت أحد أبنائي ؟ الويل لك .

- سيدي . أنت تعرف إلى أي مدى أخلص لك وأحبك، أقسم بجلالك

أنت أي لم أفلت أي ابن لك من قبل وأنت أعلم .

: سأعرف الحقيقة . سأعرفها بنفسني وإن كنت تكذب

- أقسم بك أنت

: أجل قسمك الآن فسأظهر الحقيقة، وعندها سوف تعلم مصيرك .

كانت المسافات تُطوى بجناحي (أمون) يشق السماء إلى حيث جيش (أبناء الماء) .

بدأت الصورة تظهر لعينيه، تأمل عددهم، بحر من الرجال شديدي القوي والبأس في انتظار أمر واحد من فم قائدهم ليثور فتضرب أمواجه أرض (مصر) ويمحيها تماماً من خارطة الدنيا .

= من أين أتى كل هذا الجمع ؟ لماذا يصرون على دخول (مصر) !! ألا يكفيم كل هذه الأرض المرمية من وراءهم ؟

قالها في نفسه وهو يحاول تحديد موقع قائدهم (مارون) من أعلى .
كانت الخيمة الوحيدة التي تصطبغ باللون الأحمر بين كل الخيام،
أوسعهم وأعلامهم ، فلا بد أن (مارون) يسكنها .

كان يسابق الوقت لينهي ما وعد به ، لكن نفسه حدثته أن يتأنى ، لا بد أن يعرف غريمه قبل أن يلقاه، كان مجهولاً له وكان أكثر ما يخشاه أن يفشل في العودة برأسه، إن فشل ضاع كل شيء من يديه وضاع أحبابه .
= الآن على أن أهدأ قليلاً وأستجمع أنفاسي المتهدجة .

قرر أن يحط فوق أحد الجبال المطلة على جيش (أبناء الماء) ويستريح لبعض الوقت؛ يتابع خلاله معسكرهم ليعرفهم، بعد أن استقر أخذ يللم قواه وأسلم جسده لغفوة قصيرة، ينفذ عنه عناء السفر الطويل .
وبينما هو يغط في غفوته جاءه (إبليس) .

: من أنت ؟

= (أمون) ابن (إيجي)، لكن من أنت ؟ ولم تخفي هيتك وراء حجاب ؟

تجاهل سؤاله وتابع

: أي (إيجي) ؟

= (إيجي بتاح) أمي العابدة على جانب (النيل) .

: لست بشراً .

= أعلم، أخبرتنى أمي أنني ملك هادتها بي السماء حين حسنت عبادتها

للخالق .

: لست بهيئة الملائكة .

= وماذا قد أكونه غير أنني ملك ؟

: الملائكة خلقوا من نور، فمن أى شيء أنت مخلوق ؟

= لا أعرف، لكن الماء محرّم على .

: غريب جداً . محرم عليك الماء !! ألا تعرفني ؟

= ومن تكون أيها المحتجب ؟ أنا لم أرك من قبل .

: قريباً ستعرف من أكون .

همّ بالانصراف فناده (أمون)

= ما اسمك ؟

: اسمي (إبليس) .

فزح (أمون) من غفوته واسم (إبليس) يتردد في أذنيه، فعلاً كان الاسم

جديداً عليه، ربما لأن (إيجي) لم تُعلمه الاسم الحقيقي للشيطان من قبل .

وجّه (أمون) بصره من أعلى الجبل إلى حيث يستقر (أبناء الماء)، لم يدر

كم مرّ من الوقت أثناء غفوته، لكنه يدرك أنها لم تستغرق إلا قليلاً، بمجرد

أن وقعت عيناه على (مارون) يخرج من خيمته نفض كل ما رآه في غفوته عن

رأسه، تركزت كل أحاسيسه على قائدهم، يتأمل كل لفظة من لفتاته .

بدا عظيماً شامخاً عليه أمارات المُلْك والقيادة لكنه لم يزل بشرياً، لا يختلف كثيراً عن باقهم الذين رأهم حتى الآن، ربما أنه أضخم قليلاً وأشد بياضاً من سابقه، كان يتحرك تحت تاجه الذي تنعكس منه الشمس وكأنها تقبل رأسه، لم يكن بحاجة إلى قدرٍ كبير من الذكاء ليميزه .

قال (أمون) في نفسه

= إذأً فهو أنت (مارون) أنت خلاص أمي وخلص.....

ارتسمت صورة (ساهي) في عقله بعد أن ظن أنها تاهت منه وسط الأحداث العظيمة .

= وخلص حبيبي .

كانت النار في أيدي (أبناء الماء) جليةً لعينه، وكان يعرف تماماً كيف يطفئها، نظرَ إلى السحب فطاوعته، استغرب طاعتها أول الأمر، وجهها إلى حيث يريد، تدافعت فوق الأطلسيين فأظلمت السماء في منتصف النهار، هطل الماء غزيراً من دون إنذار فانطفأت نواة نارهم وسلاحهم الأمضى . ساد الهرج بين الجند تدافعوا كنملٍ يفر من قسوة الماء، فانكشفت خيمة قائدهم .

ارتسمت في عينيه نظرةٌ قويةٌ استقى وحشيتها الجديدة عليه من عيون البشر الذين قد رأهم، فرد أجنحته وانطلق كسهم تباركه السماء، يعرف هدفه جيداً ولن يحيد عنه أبداً .

عندما ظهر للعيون من فوقها تعلقت النظرات بجناحيه مملوءة بالخوف والرهبه . من ذا الذي انشقت عنه السُحُب فجأةً ؟

بدا في عيونهم كإله حقيقي، تسمر الجيش في مكانه، حتى (مارون) نفسه كان قد نسي كل أعضاءه وهو ينظر إلى مبعوث السماء .

اقترب كثيراً وانتزع إحدى الحراب أمام الأعين المحدقة، انطلق بها صوب (مارون) وفي لحظة كانت الحربة تمر عبر رقبتة وعيناه تجحظان .
سقط (مارون) من دون عناء أو مقاومة، طار (أمون) بين الجند المتيبسين، حطاً واضعاً قدمه اليمى فوق صدر قائدهم العظيم، انتزع الرمح من رقبتة وفي برودة الثلج دار بين العيون الزائغة حوله مشيراً برمحه؛ فلم يجروء أحدهم أن يبرح موقعه .

صاح (أمون) في الجميع

= ليس لكم في هذا الاتجاه - مشيراً إلى أرض (مصر) - إلا الموت.

لم يفهم واحدٌ من الجند كلماته لكنهم أدركوا مغزاها الحقيقي، أجرأهم على الإطلاق قبض بقوة على مقبض سيفه دون جرأةٍ على سحبه في وجه ذلك الإله المجنح، بدأ الجند التراجع من حول ملكهم القليل، لحظات بعدها وانفضت الجموع الهائلة مبعثرين في اتجاهات عدّة؛ كلها لا تشير إلى حيث أرض (مصر) .

لم يفلتهم (السممر) من أبناء إفريقية، جزوا رؤسهم وعلقوهم من أرجلهم على أشجار الغابات، هدموا آثارهم وتمثال إلههم، فقد الأطلسيون قوتهم حين أطفأ (أمون) نارهم ولم يعودوا عصيين على الهزيمة كما كانوا قبلها . أنهموا قصتهم لتُنسى من جديد .

بهدهوءٍ وحشي لم يدر (أمون) من أين امتلكه، استل سيف (مارون) نفسه وجز رأسه حتى فصلها تماماً، غرس رمحه فيها ورفعها إلى حيث تسكن الشمس، أحسّ بعظمةٍ لم تكن أبداً منه بينما الوجود يخلو من حوله، ليعلنه منتصراً وحده على كل جيش (أبناء الماء) .

لم تستغرب (إيجي) رؤية (إبليس) يقتحم حُلْمها، كانت تعرفه رغم أنها لم تره من قبل .

قال (إبليس) بصوته المخيف

: أخيراً ألتقي (إيجي) العابدةً وجهاً لوجه .

- ابتعد أيها اللعين الجهنمي .

: وكيف أبتعد أيها الأم ؟ أرهقتيني حتى أدخل حلمك، بحثت من قبل عن الوحيدة التي لم تزل تعبد الله فوق أرض (مصر)، كان إلهك يمنعك مِنِّي ، والآن.....

ضحك بقسوة: لا بد أنك ارتكبت خطأ فادحاً في حق إلهك ليُسلمك لي .

- إن أسلمني ربي فهو لسبب في علمه لا يجوز أن أجادله فيه، أمّا أنا فلا

أقدر أن أخطيء في حق خالقي كما تفعل أنت أيها الطريد .

: ما زلت عابدة يا (إيجي) ؟ رغم أنك تنتظرين حرقك قرباناً ل(فرعون)

(مصر)، لكن لا تخشي شيئاً، سوف يأتيه (أمون) برأس ملك (أبناء الماء)

وستحررين بيده ، يد ابني (أمون) .

- ليس ابنك أيها اللعين . إنه ملك .

: يبدو أنك لا تقدريني حق التقدير، لست من السذاجة يا (إيجي)

لأصدقك وأكذب عيني، إنه ابني من نطفتي، رأيت من منذ قليل وأنا أعلم بأبنائي .

- إياك أن تقربه وإلا مزقتك بأسناني .

ضحك

: وكأنه ابنك تماماً يا (إيجي)، صدقيني إن قلب الأب لا يخطيء، هذا إن

كان.....أباً حقيقياً .

- قلت ليس ابنك إنه ملك .

أمسكها من تلابيبها بقسوة، صرخ فيها وهو يهزها بعنف، بدت كدميةً بين يديه .

: عشت مع الملائكة وأنجبت ملايين مثله، مخلوق من غير النور، جسده محرّم على الماء، أي كذبةٍ تعيشينها أيّتها الحمقاء؟ إنه ابني، من أين حصلتي عليه؟ كيف أفلت ليصير كما هو الآن؟ .

كادت روح (إيجي) أن تفارقها إثر هزّات (إبليس) لولا أن ظهر الرسول في حلمها، دفعه عنها قائلاً:

.. ابتعد عنها أيها اللعين .

فزع (إبليس) لرؤيته الرسول، تراجع للخلف قائلاً في تحدٍ:

: تعلم ويعلم ربك أنه ابني، لا أريده، أنا في غنى عنه فلديّ ما يكفي وسأحصل على أكثر مما يكفي، لكنني أريد أن أعلم كيف أفلت (أمون) من بين يدي؟

.. ليس ابنك أيها المسخ وارحل الآن قبل أن أوذيك .

ضحك (إبليس) بسخرية .

: هل ستغضب ربك وتقتلني؟ تقتل من كتب الله عليه الخلود حتى

النهاية؟ هيا فعلها وسأكون أسعد مخلوقٍ لو عصيت ربك أيها الرسول.

اقترب منه متحدياً فشعّ جسد الرسول نوراً مبهراً، غطى كل المشهد، الصق (إبليس) بالحائط وكان ريحاً قويةً تحاول أن تخرق الجدار بجسد الشيطان .

.. محرّم عليك الموت لكنني أقدر على منحك عذاباً يشبه مصيرك، الذي

ينتظرك . أمرتك أن ترحل . والآن .

صرخ (إبليس) صرخةً فزعاً وألمه يكاد يودي به

: كفى . كفى سأرحل .

بعد أن هدأت العاصفة لملم شتاته وتابع
لكني سأعود من أجل ابني، إبنني الذي سلبني ربك إياه رغماً عني، إبنني
الذي أفسده ربك عليّ، سأعود يا (إيجي) وعندها ستندمين أنك قبلت هدية
ربك .

هبت (إيجي) فرعةً من نومها، تشبثت برقبتها وأخذت تشهق بقوة لتعيد
روحها إلى الجسد، إنها تشعر بكف (إبليس) حقاً مطبوعاً فوق عنقها .
لحظات حتى استرخى جسدها فانفجرت باكية .
- يا ويلي . اقتربت النهاية يا (أمون)..... إقتربت كثيراً يا ولدي .

بدأ (أمون) يقدر قوته حق التقدير، استغرب لحظتها كيف عاشت فيه
كل تلك القوة لسنوات من قبل ولم يُخرجها، بل لم يكن يعلم أنها تسكنه في
الأصل، ربما أن وقتها لم يحن إلا الآن ليحرر أمه (إيجي) ، بدأ طيف (ساهي)
الذي كان يهامسه يحتله عن آخره من جديد، نفس إحساسه عند آخر لقاء
بينهما يعود من جديد، وكأن البعد لم يطفئ نار حبه لها ولو للحظة،
العجيب أن هذا الإحساس تعاضم فقط حين شعر بقوته الخارقة، إنها القوة
وحدها هي التي تمنح الفرد القدرة على الحلم وأيضاً التسامح، أخبرته أمه أن
البشر خطائين وخطأها لم يقتله .

كان حاملاً رأس (مارون) فوق سن رمحه، يطير من دون أي هواده نحو
قصر (فرعون) الذي يحتل حلمه، بدت المسافة بعيدة جداً، رغم أن طريق
العودة دائماً يكون أقصر من الذهاب لكن شوقه للأحبة؛ أضاف مئات
الأميال إلى طريقه . كان عائداً يحمل حلم حورية أمه وحبيبته فوق سن رمحه،
والجديد هو القدرة على تحقيق هذا الحلم حتى وإن لم يصدقها (فرعون) .

: أنا (إبليس) الخال . مازلت أنا الشيطان. الوحيد الذي جروء أن يعادي ربه .

صرخ بها (إبليس) في مملكته فطأأت كل الرقاب، كان يجزُ ثورته وحقده من خلفه، لم يكن الاعتراف بالخسارة من مكونات الشيطان فهو المخلوق الوحيد حتى نهاية هذه الدنيا.

نادى (سيرايل)

: (سيرايل) .

جاءه مهرولاً

- مولاي المعظم .

: اجمع كل الشياطين وألبسهم لباس الحرب، أريدكم على أهبة الاستعداد حين أعود من قصر فرعون. هيا . سأعرف الحقيقة ولن يقدر أحد أن يمنعها عني .

بُهِت (سيرايل) لقول (إبليس)، كانت أول مرة يسمعها منه لدرجة أنه لم يكن يعلم من قبل أنهم مأمورين بها، لكن صوت (إبليس) كان أقسى من أن يستفهم حتى .
- أمرك سيدي .

التهبت عينا (إبليس) وهو يقول لنفسه

: إن كان يريدنا حرباً فلتكن ولتبدأ النهاية من جديد .

كان يعلم أن جنده لن يصمدوا في وجه جند السماء للحظة. اختار نهاية الجميع حتى هو، يختارها بأمره لا بأمر غيره .

حين حطَّ (أمون) في قصر (فرعون) للمرة الثانية لم يحط راکعاً كسابقتها، بل فاردأً جناحيه في وجه الجميع، حاملاً رأس (مارون) فوق سن رمحه في شموخ وكبرياء عرف طريقه إلى نفسه لأول مرة، حتى أنه استحبَّ إحساسه الجديد.

كان يتأمل الرُكع حوله من عليائه، اقترب من عرش (الفرعون) بعظمة وثبات، ألقى رمحه عند قدميه فأفلتت الرأس لتتدحرج على الأرض، تأمله دون أن ينطق .

تلقت (فرعون) في كل بلاطه، كان المشهد مقدساً بحق، حتى أنه نسي كل ما يجري بعروقه من كبر وعظمة أمام مهابة المشهد . كان نزوله من فوق عرشه ليسجد عند قدمي (أمون) صاعقاً، الله ينزل من عرشه الذي كاد أن يضحى بشعبه كاملاً لأجله فقط ويسجد ل(أمون) .

لم يقدر كبير الكهنة ولا قائد الجيش إلا على الطاعة فتبعوا (فرعونهم) ساجدين، ارتسم الله جلياً في وجه مخلصهم (أمون) .

تكلم (أمون) بنبرة لا تحمل سوى القوة المفرطة .

= أعلمُ أنني سبقت الأخبار إليك، إنها رأس (مارون) كبيرهم، وغداً ستأتيك الأخبار بما قد حلَّ بجيش (أبناء الماء) .

اطمئن أيها (الفرعون) إن (مصر) الآن آمنةٌ-تابع- مادمتُ فيها .

صاح أحد الجنود

* عاش (أمون) المعظم .

عاش إلينا الأعظم .

تبعه الجميع هاتفين

عاش إلينا (أمون) .

رفع (فرعون) وجهه من الأرض متأملاً ذلك الإله المائلُ أمامه، نهض وأمسك بيد (أمون)، سار به تجاه العرش، كانت خطوات (أمون) تخترق الأرض إلى أعماقها، حتى (فرعون) نفسه - وإن ظنَّ نفسه إلهاً - أجلسه فوق كرسي العرش دون أدنى شكٍ أنه يُجلس الإله الحقيقي في مكانه الصحيح .
حين استقر (أمون) مكانه صاح (فرعون) نفسه .

: عاش إلهنا الأعظم .

تبعته كل (مصر) بأنحاءها، دوَّت الهتافات إلى السماء وتسربت من خلال الجدران الصخرية إلى حيث تصلي (إيجي بتاح) .
أشار (أمون) بيده للجمع أن اصمتوا فساد السكون .

= الآن أيها (الفرعون) قد وفيت بما وعدتُ، بقي أن تصدقني وعدك أنت .

أشار (فرعون) إلى جنوده

: أكرموا أم الإله .

التفت إلى (أمون) مبتسماً ابتسامة خالصةً ثم التفت إلى (نف) ومنحه إشارة من عينه، على الفور فهم كبير الكهنة مغزاها فهض من سجدته تاركاً المكان ليأتي ب(ساهي) ابنته من أجل الإله، وفي هذه المرة كان الرضا يُطل من عينيه .

حين بدا الارتياح على قسمات (أمون) صاح (الفرعون) ثانيةً

: عاش (أمون) إلهنا المعظم .

تبعه الجميع

- عاش إلهنا المعظم .

العجيب أن أمارات السعادة التي ارتسمت على وجه (أمون)، كانت تحمل في طياتها شيئاً من الرضا والقبول عن كونه إلهاً.

تفجّرت عين الحكايات عن (أمون)، وطارت الأخبار السعيدة من خلفه تحمل البشارة (للمصريين) الذين تبدّل خوفهم فرحاً .

تناثر جيش (أبناء الماء) في الصحاري والغابات، ضاعت هيبتهم ونال منهم كل من كان له ثأر عندهم، وحتى المدن التي داسوها من قبل خرج أمواتها من قبورهم ليعلنوا أن الموت (لأبناء الماء) . وبالطبع حُمِلت الأخبار الواردة بخرافات البشر حين يحكون .

خلقوا بأنفسهم إسطورة معبودهم المَجَنِّح الذي جرّف بجناحيه أكثر من مئة ألف جندي من (أبناء الماء) . (أمون) الإله الذي صرخ في وجوههم صرخةً اقتلعت خيامهم ومرابط خيولهم على الفور . (أمون) الذي ثار البحر لغضبه فهاج وهَدَمَ تمثال إلههم الأعظم معترفاً بأنه لا إله غير (أمون) فوق الأرض .

(أمون) الذي أطفأ نارهم بالسحب . كانوا يحتاجونه لكي يُحَمِّلوه أحلامهم وأمانهم الضائعة، أسقط (فرعون) الأعظم برضاه الكامل وتألّه فوق أعظم العروش، عرش (مصر) .

سجد (المصريون) سجدةً واحدة عن رضا وقناعة وليس قسراً كما اعتادوا من قبل، كم هو ممتع ذلك الإحساس بالرضاء خاصة إن مس اختيار معبودهم .

- عاش (أمون) إلهنا المعظم - رنّت في أرجاء (مصر)، وجاوزتها لكل المعمورة، فمن غير (المصريين) من اتخذ (أمون) إلهاً أيضاً .

حين فُتِحَ باب سجن (إيجي بتاح) كانت لاتزال تصلي باكيةً. ظلت تبكي حتى عندما قبّل الضوء وجهها الغارق منذ فترة في سواد الظلمة .
كان حوارها مع (إبليس) قد فطر قلبها، علمت أنه لا مفرّ من مواجهة الحقيقة .

الحقيقة التي عاشت تحجبها بروحها عن كل البشر راضيةً ب(أمون) مرضيةً به، الآن حاق الخطر بولدها وملكها وحببيها، ولا تدرى ما تفعله لتقيه الشر المنتظر.

دخل الجندي عليها، وبمجرد أن رآها تصلي سجد عند قدميها قائلاً
- أم إلهنا (أمون) المعظم .

لم تعي (إيجي) تلك الجملة والتي كانت واضحة، ربما لأنها لم تسمعها من قبل . كان مجرد أن يفتح الباب عليها كفيل أن يقتلها خوفاً، أن تذوب في الزيت المغلي، الآن يسجد لها أحد جنود (فرعون) وساجنها ليقول ما يقوله
!!!!

لم تنطق لأنها لم تفهم، فتابع الجندي
- أرجوكِ مولاتي، تقبلي أسفَ شعب (مصر) كله على ما اقترفه في حق أم الإله المعظم .

طفحت الدهشة فوق ملامحها والجندي يتابع
- (فرعون) يطلبك لِحَضْرَةِ إلهنا (أمون) العظيم .
كانت كلمة - إلهنا (أمون) - التي كررها الجندي هي ما يلجم لسانها، كانت أعلم الناس بأن (أمون) لم ولن يكون إلهاً قط .
تبعته ورأسها لعبة بين يدي الفِكر، لم تجد أمامها إلا أن تدعوا الله أن يكون خيراً .

كانت تجتر ذمها، حين دخلت إلى بلاط (فرعون) زادت دهشتها، رأت ولدها (أمون) جالساً على كرسي العرش في عظمة لم تعدها فيه ولم تنشئه عليها، إلى جاره تلك البنيت التي رأتها لحظة الأسر، نفس البنيت التي كشف (أمون) سرّه لأجلها، كانت (ساهي) إلى جواره .

تأمّلت الساجدين من حولها ذاهلةً، كان الطريق لابنها هو الوحيد الذي يجذب أقدامها من دون وعي، حين اقتربت من مجلسه العجيب نهض والسعادة تفيض منه على كل ما حوله، فتح ذراعيه عن آخرهما مملوءتين بالشوق الشديد .

شئ ما بداخلها سمّر أقدامها غير بعيدة عن ولدها الذي بدت لا تعرفه لأول مرة منذ لقيته، الاستغراب ينبت من عينيها واضحٌ للشهود ولابنها نفسه .
اقترب منها (أمون) واحتواها بين ذراعيه قائلاً في غمرة النشوة .
= اشتقتُ إليك يا (إيجي) .

أسلمت نفسها لحضنه الدافئ من دون نطقٍ، أحس (أمون) برودة مشاعرها فسألها متعجباً

= ألم تشتاقي إليّ يا أمي ؟

كانت كلماتها تحمل رائحة الشك حين سألته:

: لمن يسجد كل هؤلاء يا (أمون) ؟

سرعان ما انقلب شكها إلى يقين حين رأت صمته يحتل إجابته المنتظرة.

: يسجدون لك يا (أمون) ؟!! تركتهم يسجدون لغير ما تعبد وأنت الأعلم

بمن يستحق السجود من دون المخلوقات جميعاً ؟

حاول (أمون) أن يحتال على سؤالها بالتهرب منه .

+ أمي انظري . لقد بتُّ فوق عرش البلاد، لن تُهاني بعد اليوم . ستكون

إرادتك من إرادة كبيرهم، ألا يرضيك هذا ؟

صرخت فيه غير مصدّقةٍ

: يسجدون لك؟ من دون الله ؟!!

هل صبرت (فرعوناً) أخرياً (أمون) ؟

قال (أمون) خافضاً صوته :

= أقسم بربي لم أدعَ أني إله، وقد أخبرتهم بذلك .
وتخفض صوتك؟ لِمَ تخفضه يا (أمون) ؟
تخشى أن يسمعك أيُّ من هؤلاء فتفقد عرشك ؟ أعجبك أن تصير إلهاً
يسجد له الجُهَّال ؟

صاح (أمون)

= أقسم لم أفعلها ولم أردّها .
: إذاً قلها لهم بملء صوتك ، أخبرهم أنك لم ولن تكون إلهاً، أشر إلى
إلهك وإلههم ووحدهم أنظارهم جميعاً إليه . هيا افعلها .

صرخ (أمون) في الجمع:

= لست إلهاً..... لست إلهاً، ولتشهدوا جميعاً أنني لم أقلها ولن أقولها
أبدًا، ولتعلموا أن ربي وربكم واحدٌ يسكن السماء ولا ينبغي له أن يسكن
الأرض؛ لأنه أكبر وأعظم من كل شيء .

ارتفعت الرؤوس المحنيّة بتشكُّك، كانت كلمات (أمون) تصب على
نفوسهم الحيرة والاستغراب، إن لم يكن (أمون) هو الله فما قد يكونه ذلك
المجنح الملائكي؟

صاحت (إيجي)

: أيها الناس . لم يكن ولدي (أمون) إلهاً قط فأنا أعلم الناس به، أنا أمه
وأعلمها أمام الجميع لأبرأ من كفركم، إلهنا يسكن السماء، إلهٌ واحدٌ خلق كل
شياء، لا تراه الأعين وهو يرى كل شيء، إلهنا أعظم من أن يجسِّده مجنحٌ يدعى
(أمون) .

لم يعد في الجمع من يفهم الحاصل، فتعاركت الفِكر في رؤوسهم، إلى أن
خرج أحدهم من معركته مع الدهشة وصاح في الجمع .

- وإن لم يكن إلها فهو ملكنا وعظيمنا، هو من حرر رقابنا من وطأة (أبناء الماء) .

عاش ملكنا (أمون) العظيم .

دوّت كلماته في آذان الجميع فبدوا كأنهم قد استيقظوا من غفوةٍ طويلة وهم يتبعوا هتافه .

_ عاش ملكنا (أمون) العظيم .

تبدّل الهتاف إليها فدبّت الروح في صدر (أمون) من جديد، هو لم يزل فوق كرسيه الذى بدا وكأنه قد أسره كما أسر الكثيرين من قبله . ربما لأنه يضيف معنى للحياة لا ندرکه حتى نجلس عليه .

تأملت (إيجي) غرفتها المهيبة في قصر (فرعون) ، لم تكن تصدق أن يكون مثلها موجوداً بخارج الجنة التي ترجوها من ربه . أغلقت بابها عليها وصامت عن الكلام حين علّمت بأمرزواج (أمون) من (ساهي) . كانت تشعر كأن (أمون) يهجرها لأجل غيرها . لم تدرِ سر ذلك الإحساس الممتليء بالأناية .

- من حقه أن يجد من يملك قلبه، لكن هل في هذه الدنيا من يحبه أثر مني ؟ حدثت نفسها في مرارةٍ ظاهرة رغم ما صارت ترفل فيه من حرير ونفائس .

- لا أطيق العيش في هذا المكان، أريد العودة إلى صومعتي .

كانت تعلم أنها بهذا تهرب من إحساسها القاتل، أنها تفقد أعز ما لديها.....(أمون)، أرادت أن يكون البعد خيارها تاركاً ولدها لحياتة المختارة .

كانت بكل ما فيها تغالب نعاسها لوقتٍ طويل، فمن يحتمل كل ما مضى من دون أن يصيبه الإعياء، ربما أن صمودها في وجه النوم لم يكن قوةً فيها وإنما هرباً من أن تلاقيه في نومها، بمجرد أن غلبها النعاس سمعت صوت ضحكاته المخيفة .

: سيتزوج وسينساك وإن كنتِ أمه .

- ابتعد أيها اللعين .

: إنها طباع البشرى (إيجي)، سيرتمي في أحضانها الدافئة، وأكاد أجزم

أن طيفك لن يراوده، ولو حتى في الأحلام بعدها .

- كل ما أريده أن يكون سعيداً آمناً .

: ستتركين ابن الشيطان يتزوج من بشرية ؟

إنك تخالفين الطبيعة التي فطر الله عليها أرضه وملكوته .

ستتركينه يفعلها حتى وأنت تعلمين ؟ أي عابدةٍ !!؟

أقسم أنني وأنا (إبليس) لا أجروء على فعلها، وإلا كان أبنائي يرتعون في

بطون البشر منذ البدء .

- لا تحاول أيها اللعين . ليس ابنك . إنه ملك .

: ليكون ملكاً كما تدعين . فهل تتزوج الملائكة ؟ أي هراء تعتقدن فيه

أيها العابدة ؟

- إنه أمر الله .

: كل شيء بأمر الله؟ أن يُضيع عمرك لأجله ثم يهجرك أمر الله . أن أُحرم

من ولدي أمر الله . أن يتزوج ممن حرّم الله عليه أمر الله . أي أمر هذا ؟ لم لا

تكون أوامر مرضية للعقل ؟ إلى متى سنظل نحقق إرادته من دون وعي ؟

هل تعلمين ؟ حين تذكّرت أنني كدت أسجد لعجينة من الطين أموت من

الضحك، أين حريتنا التي سيحاسبنا عليها؟ لو كان الأمر بيدك لما كشفت

لمخلوقٍ سر (أمون) لكنه أمر الله أن يُفصح السر ويُعلن على الملأ لتعاني الوحدة؛ والوحشة بقية حياتك.

- وقّر عليك كلماتك الخبيثة، فلن تصل إلى غايتك مني .
ضحك (إبليس) مستهزئاً .

: أتعلمين ؟ لقد أعجبَ (أمون) أن يكون إلهاً . هل رأيتي رأسه المناطقة
للسحب حين دخلتي إلى مجلسه الجديد ؟
- ربيته ولن يخذلني ربي فيه، وهو أعلم بأنني أديت رسالتي على النحو
الذي يرضيه .

: بدأ يحمل طباع البشرى (إيجي)، من يعاشرهم يحمل طباعهم الجيد
منها والرديء، وفي الغالب سيصير منهم .
- سيصير ما قدره الله له . أما أنت فلتحترق في أعماق الجحيم ولترحل
الآن .

: سأرحل يا (إيجي)، لكن عيني لن تغفل عن متابعة إلينا الأعظم
(أمون)، لن أتركه لحظة حتى أعرف الحقيقة التي مازلت تنكرها كاملةً .
هبت فزعاً من نومها تحمل في صدرها قلباً يحترق ويتأكل خوفاً على
ولدها الحبيب ابن ابن الشيطان .

عندما تبتسم الأيام في وجه أحدنا عليه أن يتأكد أنها لا تكشف له
أسنانها فحسب، فربما لا تكون ابتسامة في الأصل، لكن (أمون) كان يراها
أجمل ابتسامة منذ أن قابل الحياة، لا يمكن لها أن تكون خدعةً. حتى ظن
أنه يسير الحياة على هواه .

يسكن قصرًا مهيباً يفوق أجمل أحلامه، يجلس فوق عرش (مصر) التي تحيا بمعشوقه (النيل)، كل الناس بمن فيهم (فرعون) عبيدٌ له، لا يفصل بينه وبين حبيبته سوى أن يأمر فتأتيه، تلك التي ظنَّ من قبل أنها ليست له . كل أمنياته تتحقق في آن واحد، ولأنه قوي كان يمكنه تحمل السعادة الغامرة حين جلست (ساهي) إلى جواره في شرفة القصر .

= لم أكن أعلم أن للحب هذا الأثر العجيب .

+ أجمل ما فيه أنه يمنحك القدرة على التسامح .

= كنت أعلم أنك لن تخدعيني .

+ لا يمكن للعاشق أن يخدع معشوقه، فقط خُلقت من الطين وكنتم السريقتله، عندما غبت عني لأيام لم أحتمل الحياة وخرج سري رغماً عن حيي، لكن صدقتي كنت لأموت فداءً لك، كنت أعلم أن ذهابي وراء جنود فرعون سيقتلني، لكنني جد أحبك أكثر من حيي للحياة .

= سامحتك حين نظرت في عينيك، يقولون أن العين هي مرآة الروح وحين غصت في عينيك صدقتك أكثر. لم أكن أدرك أنني أحبك كل هذا الحب + لكنني أدركت حيي لك أول مرة رأيتك فيها، كنت أعلم أنني لن أجوز لغيرك ولا حتى للموت، خاصة بعد أن رأيت نظرةً في عينيك تشبه تلك التي تطل على الآن .

= لست أدري لم أرى وجه (إيجي) في ملامحك .

+ ربما لأنها أول من أحببتك، لكن صدقتي سأحبك كما لم يحبك مخلوقٌ

في الكون، فأنا عاشقة حتى الثمالة .

= كنت واثقاً أن الأيام ستحمل لي الخير والهناء، لكن ما يقلقني صوم

(إيجي) عن الكلام وكأنها لا تزال تنتظر شيئاً محيطاً .

+ هي لا تستطيع التصديق حتى الآن .

= نعم . هناك ما يصعب تصديقه وإن بات واقعاً وبين أيدينا كما نحن الآن، ما زلت لا أصدق أنك ستصبحين زوجتي بعد يومين فقط .
+ ملكتني منذ أن رأيتك أول مرة .
= أحسستها مثلك ولم أفقد الأمل حتى عندما خفت منك أول مرة .
+ والآن ؟
= لا أدري لماذا أخاف عليك ونحن نملك الدنيا .
+ (أمون) زال الخوف ويبقى الحب الحب فقط .

كان خبر زواج (أمون) و(ساهي) هو كل ما يشغل بال المصريين، بدلت (مصر) لباسها لترتدي ثياب العرس، كانت البلاد تبدو حلوة في عيون أهلها فأصابهم الفرح، حتى أن (مصر) بحالها لم يعد فيها متخاصمين ولا متناحرين، كأن السلام قد اختار أن يحطّ فوق أرضها من دون العالم كله .
إنها لحظة إسعاد محبوبهم ومخلصهم (أمون)، تلك اللحظة تستحق من كل من اعتبره إله أن يتابعها بشغف .

بدا قصر (فرعون) قنديلاً يشع نوره في كل أنحاء البلاد، طولها وعرضها، يغمرها ويفيض .

آن الأوان ليلتقي حبيبي الشعب أمامهم وكلهم فرح لفرحهم، يباركون سعادتهم الآتية، ويقدمون فروض الولاء والطاعة لملكهم ومليكتهم المعظمين فُتحت أبواب القصر السبعة أمام جموع الشعب فأضحت الجنة ظاهرة في أعين المصريين، تفتح ذراعها لجموعهم الغفيرة . الغريب أنهم لم يعودوا يفكرون في الطعام والشراب ولا حتى اللذة، فقط رؤيتهم ل(أمون) سعيداً هو كل رضاهم .

تبدّلت الرؤوس والأفكار، غيّرها انبهارهم بملكهم الذي رضوا عنه
وزرعوا حبه في قلوبهم الخضراء بأيديهم .

توافدت أسراب المصريين عبر أبواب القصر إلى ساحته الشاسعة
والابتسامة تتواصل بين وجوههم، منتظرين أن يُفتح الباب ويطل عليهم
(أمون) وزوجته فتنفجر الحناجر بالهتافات، حين فُتح الباب ظهر (أمون) إلى
جوار عروسه الساحرة كإله حقيقي، كان يفيض بنوره على الوجود فلم
يحتملوا، أغلقوا عيونهم أمام ضيائه وساد سكونٌ يشبه صلاتهم .

بدأ وعيهم المسلوب بفعل السحر والجمال يعود من جديد، وبدأت
السننهم تحيا مرة أخرى، أخذت الهتافات تعلو للسماء - عاش (أمون) ملكنا
المعظم، عاش (أمون) العظيم - .

حيّاهم بسعادة زادت من التهاب حناجرهم، تأمّل الجموع الغفيرة في
ساحته، رضى عنهم ثم عاد ليدخل بلاط قصره حيث كبار (مصر) يحتفلون
بملكهم ومليكهم .

جلس فوق كرسيه وأجلس (ساهي) إلى جواره لينحت في عيون الجميع
اسطورته الخالدة: مادامت الحياة.

اقترب (نف) من ابنته وقبّل رأسها بقدسية العُرس لدى (الفراعنة)، ثم
انحنى إلى (أمون) الذي منحه ابتسامة رفعته في أعين الحاضرين، بدأ الجمعُ
يفعلُ المثلّ، كلٌّ يحاول الحصول على رضا (أمون) وعاد الكلام .

كانت الأحداث تسير في اتجاهها الطبيعي من دون موارد، كل الأشياء
تعبّر عن سعادتها فقط لتُسعد الزوجين، ظهرت (إيجي) في مدخل البلاط،
لمحها (أمون) فرفع يده ليخيّم الصمت على المكان . نهض واقفاً وهو يهتف في
سعادة الأطفال الفرحين بأمهاتهم
= أمي (إيجي) .

كنت أعلم أنك سترضين، لأنني ابنك الذي يحبك وتحبيه.
تصنَّمت (إيجي) وكأنها حجر لا ينطق وعيناها تحبسان نهراً من الدمع .
= أمي.....

أخذ يقترب منها - الآن يكتمل الفرح عندي وعند كل المصريين .

غالبت (إيجي) صوم لسانها وبدأ مخيط فمها ينفتحُ بصعوبةٍ بالغة :
(أمون)..... ولدي..... أرجوك لا تفعلها، لا يمكن لهذه الزبيجة أن تتم .
حلّ الدهولُ مكان الصمت وظهر في وجه (أمون)، الذي سألها

= ماذا تقولين يا أمي ؟

قالت مؤكدةً كلماتها السابقة :

لا يمكن لك أن تتزوجها يا ولدي، إنها بشريةٌ .

= وأنا ملكٌ يا أمي أم نسييتي ؟ أي شرف للبشري أن يتزوج ملك .

: (أمون) ولدي . أنا أعلم الناس بك..... أظعني ولا تفعلها إن كنت بحق

أملك التي تحبها .

= أظعك !!؟ في ماذا ؟ في قلبي؟ أظعتك من قبل وخفت البشر، والآن

ترينهم كلهم عند قدمي بكل رضاء، عشت عمري وحيداً أفقد الآخرين

وقلوبهم التي تحبني الآن، لم أتأفف للحظة لعشتها بعيداً عن الدنيا لأنني كنت

معك، فلماذا تفعلين هذا معي الآن؟ تريدان أن تفسدي فرحتي التي ألقى الله

بها في طريقي ؟ ليس ذنبي أنني ملكٌ، سقط إلى الأرض من دون معصيةٍ أو

فساد .

قاطعته أمه صارخة فيه، بكل ما يعتمل في صدرها من لوعة:

: لست ملكاً .

ظهر أثرُ قولها على وجه (أمون) الذي حمل كل ما في الدنيا من دهشة واستغراب، تَلَفَّت في أعين الحاضرين وتأمل تلك النظرة الخائفة في عيني حبيبته .

= ماذا تقولين ؟ لست ملكاً؟!!!

: (أمون)، أرجوك يا ولدي دعنا نرحل عن هنا، لقد بذلت عمري لأجلك،

اكتفيت بك عن جميعهم . ألا ترضى بي يا ولدي الحبيب ؟

= لست ملكاً؟!! فأى شيء أكونه إن لم أكن ملكاً ؟ وسامتي، أجنحتي،

قوتي كلها تعلن أنني ملك. إن كنتِ لم تسامحي (ساهي) حتى الآن، فقد

سامحتها، ويجب أن تسامحها. تعلمين لماذا ؟ لأنك من أخبرتني بأنها بشر

والبشر يخطؤون، وإن كنتِ تظنين أن زواجي سيأخذني منك فأقسم أن هذا

لن يحدث يا أمي، انظري في عيني وعينيها، أنتِ تعرفين صدق العيون، أقسم

أنك ستبقيين أمي وسيدتي وحبيبتي التي علمتني كل شيء، أكثر من أحبني فوق

الأرض التي زرعتي فيها بداخلي، أرجوك يا أمي لا تكذبي عليّ لأجل شيء لا

حيلة لي فيه . قلبي يا أمي .

انهمر سيل الدموع الساخنة من مقلتيها وهي تقول :

صدقني يا ولدي الحبيب . لست ملكاً فالملائكة مخلوقة من النور .

سألها ذاهلاً

= وأنا ؟

: لا تسأل أرجوك يا ولدي حتى لا تقتلني .

تابع بعناد واضح

= وأنا يا أمي . من أي شيء خلقت ؟

دفنت وجهها بين كفيها لتواريه عن عيني (أمون) وقالت :
لو أردت أن تعرف فانزل إلى ماء (النيل) الذي حُرِّمَتْهُ رغم عشقك
الشديد له .

= سأحترق .

تحشرج صوتها وكأنها تنتزعه من حنجرتها انتزاعاً

: بل..... ستنظفيء يا..... ولدي .

= هل تعنين أني..... أني مخلوقٌ من

: خلقت من ناريا (أمون) . أنت مخلوقٌ من ناريا ولدي وليس من

النور .

قالتها وانهارت غير محتلمة ذبحها لولدها الحبيب بسكين الحقيقة .

برقت عينا (أمون) رغم أنها لم تكن ترى أي شيء لحظتها، لكن الأعين

المحدقة شدته إليها، وأقواها على الإطلاق عينا (ساهي) حبيبته، تاه في

العيون جميعها، بدأ يشعر بقسوة عضتها، تمالك ما بقى منه وصرخ فيهم

= إلام تنظرون ؟

ترى الآن عيونكم (أمون) غيرال (أمون) . سقط إلهكم الذي تبعتموه مع

أول كلمة، لم يعد ملكٌ كما خُيِّلَ إليكم، اللعنة على كل شيء، اللعنة على ما

كنت أبدوه وعلى ما أكونه في الحقيقة . اللعنة عليكم .

التفت إلى (ساهي) الذبيحة بما تسمع:

اللعنة على قلبي، وعلى تلك الكذبة التي ربتني عليها (إيجي) .

. عاد إلى أمه .

قتليني بيديك يا (إيجي) ومن دون رحمة، قتليني حين كذبت في البدء،

وتقتليني الآن بالحقيقة .

لماذا فعلتها يا (إيجي) ؟ كنت سأرضى بطبيعتي لو علمتها، أما الآن
فنقمتي ستطول كل شيء .
فرد أجنحته بقوةٍ أرادها أن تبقى في العيون وارتفع لتأكله السماء، غاب
عن الأنظار ربما للأبد.
تراجع الحضور حين طار (أمون) من بينهم كاشفين بلاط القصر لتظهر
(إيجي) راكعةً على ركبتيها تبكي .
اقتربت منها (ساهي) ببطء ودمعاتها تسبقها .
+ أى شرٍ فعلتبه يا (إيجي) !!
حين سمعت صوت (ساهي) امتلأت عينها بالقسوة وفاضت، التفتت
إليها :

الشر منك أنتِ . أنتِ من أغواه.....وأنتِ من أنهاه .
وجدته يصرخ في بطن مسخٍ أحرقهُ (النيل) وحين لامس ماء المطر علمت
ما قد يكونه، رغم هذا حفظته من كل شرٍ، لأن الله أنجاه من قلب النهر، من
قلب الموت، اذاً فهو يريد له الحياة، ربطتُ له أجنحته وربيته بعيداً عن كل
الأعين، استغنيت به عن كل شيء، كنا سعيدين حتى جنتِ أنتِ وأطلقتِ
جناحيه للسماء وما أوسعها، تتوه فيها كل الأشياء حتى وإن كان (أمون)
نفسه.

ألجمت الصدمة كل الحاضرين، أما (ساهي) ماتت تقريباً وهي تسمع
تلك الكلمات التي لم تُدرك أكثرها . لم تكن تتخيل للحظة أنها ذبحت (أمون)
حين أحبته بكل صدقٍ، لم تكن تتخيل أن كل شيء بدأ من عندها هي، وفي
سط الحضور كان يقف (إبليس) منتحلاً شخص أحد جند (فرعون)، كان
يريد أن يسمع كلماتها منذ فترةٍ، الآن تكشَّفت له الحقيقة، إنه ولد (ميرو)
التي أحرقها غمراً في ماء (النيل) منذ سنوات، ربما أن ثورته كانت قد أنسته

طبيعة حملها، (ميرو) التي أبت أن تخمد نارها دون أن تترك بدنيها ما يؤلمه مرة أخرى، (ميرو) الوحيدة التي كشفت تلك النقطة الضعيفة في قلب (إبليس) ولو عن غير قصد .

كانت نيران (إبليس) تشتعل حول عرشه، أخذ يدور حوله من دون وعى منتظراً (سيرايل) الذي أمر بحضوره . لم يطل انتظاره رغم أن التهاب النار فيه أوحى إليه بأن سنوات قد مرت من الإنتظار، دقائق معدودة حتى مثل (سيرايل) بين يديه .

صرخ (إبليس)

: أين كنت أيها اللعين ؟

خرجت كلماته مرتجفة وهو يقول

- مولاي ... كنت في المسلخ، لم تمر دقائق معدودة حتى.....

قاطعه (إبليس) وكله غضب حارقٌ وجدبة .

: اجمع قدر ما تستطيع من الشياطين، اجمعهم كلهم، ليحترق العالم أو

ينصلح، لا تهتم بأمر غواية البشر الآن وابتحث عن (أمون)، جنني به حياً.

هل سمعتي ؟ أريده حياً من دون أذى، هيا اسرع .

- أمرك مولاي وسيدي .

انصرف (سيرايل) من أمام أبيه بينما الشيطان يلهبه الجنون .

: كنت على يقين أنه ابني، لكن أن يكون ابن (ميرو).....؟؟؟؟ لماذا

عادت سيرتها إلى الوجود ثانية؟ لماذا لم تمت وتأخذ ذكراها معها إلى قاع النهر

فحسب؟ عذابٌ عذابٌ عذاب . هل تستحق فعلتي كل ما يجري ؟ عندما يركع

عند قدمي لا أعرف ما قد يحدث، وأكد أن ابن (ميرو) أيضاً لا يتخيل .

أخذت (إيجي) تسترجع ما ترتب على بوحها بالسر، كان السقف قد تهدّم فوق الجميع، (ساهي) التي أصابها المس منذ لحظتها وأضحت لعبة بين كفي الجنون، صامتةً، تضحك أحياناً وتبكي غالباً، (أمون) الذي فارقها وللأبد. قلبها الذي مزقته بيدها، كانت على يقين أنها قد أنهت الحكاية كلها ولم يعد هناك سبيل للعودة مرة أخرى، قطعت خيطاً كان متيناً ربطها ب(أمون) لعشرين سنة .

عندما راحت في النوم الذي صار أعظم مأسيتها على الإطلاق انفتحت بوابة الرؤى وجاءها رسولٌ ربهما .

: أخبرتك أن نهايته ستكون على يديك أنت ولم تحذري .

- لماذا يفعل بي ربي هذا ؟

: هو الوحيد العالم بخبايا الأمور، الوحيد الذي يسأل ولا يُسأل .

مالي أري الإيمان يرتعد في صدرك يا (إيجي) ؟

حذرتك وذگرتك أنك أمه لا شيء آخر .

- كنت أمه حتى النهاية .

: هل تعتقدين الصدق في ما تقولينه يا (إيجي) ؟

- ماذا تقصد أيها الرسول ؟

: لقد عشقتيه، ابنك (أمون)، ذلك المملك، هدية الله .

- عشقته ؟

تساءلت في نفسها غير مصدقة

: نعم عشقتيه يا (إيجي)، لم تملكي مشاعرك أمام شبابه وسحره،

وقعت في عشق من لا يجوز لك وأنت لا تدرين .

- أعشق ابني !! كيف !!؟

: أنت تمسكين بذلك الإحساس الذي تنكريه الآن، لقد فضلتني نهائيه
على أن يكون لأخرى غيرك . العشق قد يكون الحياة كما هو الموت أيضاً .

- كنت أخاف عليه منها . خفت عليه طيله عمره من كل البشر .

: لم يكن ذلك خوف بل انتقام يا (إيجي) ، رويتي قصته في وجه الشيطان
مع العلم أنك تضعين روحه على المحك، كل هذا لأنه اختار أخرى ليحيا إلى
جوارها، لم تصدقي أنه سيعود إليك بعد أن أخذته (ساهي) .

(صاحت)

- لا تذكر اسمها .

: الغيرة الحمقاء تقتل الجميع . نسيتي أنك أمه .

- أقسم لم أنس .

قاطعها :

لا تقسمي يا (إيجي) فالله يعلم قدر العشق الذي يحمله قلبك لولدك
(أمون) .

- ولم تركني الله أعشق .

: لم يتركك وأنت تعلمين . حدّرك بكلماتي لكنك لم تفهمي، ولنكن أكثر
صراحة، أنت ما أردت الفهم وعشقت ولدك . كان اختباراً يا (إيجي) .

- اختبار؟؟

: واختبار العابد في قلبه، أنت لم تنجحي يا (إيجي)، القلب يخدع
صاحبه وقد فعلها .

كانت كلمات الرسول تكسر رأس (إيجي) وتفور فيها حين أفاقت، حتى
باتت لا تعلم إن كانت نائمة أو مستيقظة .

كانت تود لو أن كابوسها يقتلها، أو يرحل، أمسكت برأسها وأخذت
تصدمها بالأرض، وكلمات الرسول تطن . لم تنجحي يا (إيجي) ... لم تنجحي .

عاد (أمون) إلى حيث اعتزل البشر أول مرة، استقر فوق الجبل الذي يعرفه وربما لا يعرف غيره، وكأن الجبل هو الذي اختاره وليس (أمون)، كانت الأحداث ترتسم في عينيه والذكريات تطفو على السطح .

أمه (إيجي) التي عاشت عمرها لأجله كرهها حين ألفت بالحقيقة في وجهه، حين أحالت فرحته مآتماً .

اجترّ كل ما جرى، كل شيءٍ، كان هناك جزء ناقص من الحكاية وأبشع الأمور أن تمتلك حقيقةً ناقصةً، لم يستطع الاستمرار، عاوده الحنين، ودّ لو لاقاها ثانية وارتمى بين ذراعها وأحس بدفء حضنها الذي يفتقده الآن، لكنه الآن يعلم ما يكونه من دون أي مواردٍ أو تجميل .

ربما كانت (إيجي) محقةً حين منعت عمره عن البشر، وربما أنها أخطأت حين لم تُعلمه بأصله من البداية، على الأقل أنشأته على عبادة الله حتى وإن كان ابناً لـ (إبليس) .

أي حماقة كان سيرتها في حق (ساهي)، لو كان قد تزوجها بالفعل، لا يمكن لطبائع الأشياء أن تتبدل، كان لابد لأمه أن تتصدى لتلك الزيجة حتى ولو ألزما الأمر كل تلك القسوة .

إنه ابنٌ للشيطان تلك هي الحقيقة، الحقيقة التي فُرضت عليه من دون أي خيار .

رفع رأسه للسماء، ودّ لو أنه نطق بشيء لكن خجله من أصله الذي عرفَ أخرسه، خجل من الإحساس الذي تملكه حين رأى الناس يخرون تحت قدميه ساجدين، لم تمنعه معرفته بربه من أن يصيبه الكبر، صمت لسجودهم بل واستمتع بعليائه، ربما أن إيمانه لم يكن بالقوة الكافية وقتها أو هو كذلك دائماً .

اختار أن ينعزل عن الوجود حتى النهاية، أن يبتعد فلربما نسى أصله
الذى قتله .

حتى وإن كان ابناً للشيطان فعلى الأقل هو لم يتبعه، قرر أن يتناسى
أصله والذى يعلم علم اليقين أنه سيتبعه أينما حلَّ .

وجد نفسه يرتعي على الأرض، يسجد لربه ويكرر باكياً بحرارة
-سامحني يا إلهي..... سامحني يا الله، أنت من خلقت القلب
وعلمته أن يعشق، لو كان الأمر بيدي لاقتلته وغسلته بماء (النيل) فلا يبقى
فيه إلا حبك وحدك . سامحني يا إلهي وإله العالمين .

أحرقت دموعه موضع سجوده، وصار علامة لكل من جاء بعده، مرت
أيام وأيام، حاول أن يتعايش فيها مع ألمه، حبس شكواه في صدره، فربما تطهر
من ذنبه، وغفر له ألمه بعض ما قد فات.

مر وقتٌ قصير حتى علم (سيرايل) بمكان (أمون) وعندما لقيه كان لم
يزل ساجداً لربه . كان يتبعه ألفٌ من خير جند الشيطان كلهم مسخرون لأجل
شئ واحد . هو أن يعودوا ب(أمون) حياً .

حين رفع (أمون) رأسه من سجده، وقع بصره على (سيرايل) ذلك
المسخ المقيت المنتصب أمامه متأملاً إياه، وكأنه يسترجع ذاكرته التي أحببت
هذه الهيئة وتشفق على حاملها الآن .

من خلفه اصطف باقي جند الشيطان .

لم يعد للخوف معنى عند (أمون)، زالت مفردات كثيرة من قاموسه منها
الخوف، لذا سأل متقدمهم بهدوء لا يتوافق مع هيئة الدخيل أبداً
+ من أنت ؟

أجابه (سيرايل) مستعيراً نفس هدوءه العجيب:

: أخوك .

متعجباً

+ أنت لا تشبهني .

: بل أنت الذي لا تشبه باقي اخوتك. ربّيت مثلك من قبل، كان يملك نفس سحرك وللأسف ستشبهنا جميعاً عن قريب، نحن اخوتك يا (أمون)، اخوتك من أبيك (إبليس) وأما أنا فاسمي (سيرايل) .

+ وأي ربح أَلقت بك إلى مكان تعبدي يا (سيرايل) ؟

ضاحكاً :

قامت القيامة الآن، ابن الشيطان يتعبّد؟! أرسل والدك في طلبك وهو الآن منتظر، أنت لا تعرف كيف يكون غضبه حين يمل الانتظار وأتمنى ألا تصادفه أبداً .

+ الشيطان ينتظرنى ؟ بقى أن تخبرني أن قلبه يقتله شوقاً للقاء ولده

الحبيب .

: الشيطان تجرد من القلب منذ زمن وهو الآن ينتظرك، هل ستأتي معنا

طائعاً ؟ أم ستضطر أخوك أن يجبرك ؟

+ قاربت العشرين من عمري وهو الآن ينتظرنى ؟ قل له أني بريء منه،

لم أعرف لي أباً من قبل ولست بحاجة إلى مثله الآن .

مستهزئاً :

: وهل سيغيّر قولك هذا من الواقع في شيء ؟ هل سينفي هذا أنك من

نطفته الجنّية ؟ هل ستنطفئ النار التي منها خلقت ؟ أم سيحولك إلى ملك

كما كانت تخبرك (إيجي) ؟ أنت ابنه وهو أبوك رضيت أم أبيت . هذا هو

الواقع الذي لا مفر منه، اسأل ربك سيجيبك إن أراد .

قال متحدياً بشراسة:

+ لن يرغمني شيء في الوجود على الذهاب إليه .
فرد أجنحته العظيمة في وجوههم، مستجمعاً كل ما أدركه من قوة

بجسده

: ليس لك أي خيارٍ في هذا .

وفي لحظة كانت شبكة من الحديد البارد قد ارتمت عليه، حاول جاهداً أن يفك أسرهِ، لكنه كلما حاول التملص كلما زاد الأسر وانقبضت خيوط الحديد أكثر لتزيد آلامه، أدرك أنه لا مفر، لم يجد بداً من أن يهدأ موفراً طاقته، وحمله جند الشيطان إلى حيث عرش أبيهم (إبليس) الذي أشاطه الانتظار.

حين ارتعى (أمون) أمام عرش (إبليس) كان جالساً فوق عرشه، واضعاً قدماً فوق قدمٍ وكله كبير وشموخ، كان يريد أن يبدو في عينيه إلهاً مرثياً غير ذلك الذي يعبده (أمون) من دون أن يراه . تأمل ولد (ميرو) التي لم يستطع مر السنون أن يطيب جرح قلبه الذبيح، وجد في ولدها ما يمكن أن يؤلمها حتى بعد موتها .

أشار إلى (سيرايل) الذي اتخذ مكاناً خلفياً، هارباً مما قد يسفر عنه ذلك اللقاء الملتهب . أن فُكَّ قيده .

نهض (أمون) نافضاً عن جسده عناء الأسر مواجهاً إياه ومتظاهراً بشيء من عدم الخوف، رغم أن مشهد (إبليس) فوق عرشه قد أربعه حتى النخاع .

أتى صوت (إبليس) جهنمياً

- أخبرتك أنك ولدي فلم تصدِّق وقتها .

+ ليس لي أب .

- تتبرأ مني ؟ أهذا ما قد علمك الذي تعبده ؟ لكني أعذرك تماماً فأنت لا تشبه أياً من اخوتك، حتى الآن .

+ لن يجعلني المسخ ابناً لك . أنت شيطان .

صرخ (إبليس) في وجهه، فارتج المكان بما يحويه:

- أنا الشيطان. أنا أصل كل الشر في هذه الدنيا. أنا الوحيد الذي يستحق لقب الآخر والأخير.

. استرد هدوءه مكماً. ألا يمنحك هذا فخراً أن أكون والدك ؟

حاول (أمون) أن يبدو متماسكاً:

+ يمنحني مذلة لا يشعر بها إلا من كان يؤمن بالله .

ساحراً - أفسدتك (إيجي) على أبيك، تلك المخادعة التي ظلت تكذب

عليك طيلة عمرك، لكني سأصلح ما قد أفسدته اللعينة .

نادى في جنده

- جروه إلى المسلخ ربما علم أنه مني .

على الفور أحاط به جنود (إبليس)، سحبوه إلى المسلخ من دون أن

يبدي مقاومة .

موجهاً كلامه إلى (سيرايل)

- اسلخه بيدك وأعلمني بعد الانتهاء، أريده أن يرى حقيقته .

وبعد الفجر اغمره في ماء (النيل) .

أصابته الدهشة (سيرايل) الذي تساءل

: ولم يا سيدي؟! لم تقتله؟

انفتحت بوابة جهنم مع صوت (إبليس) الذي صرخ في وجهه

- تجرؤ أن تسألني أيها اللعين ؟

لملم (سيرائيل) شتات نفسه وقد أدرك عِظَم فعلته .

: سيدي والهي حاشاى أن أسأل مجادلاً، كنت أود أن أعرف سره فقط

- تريد أن تعرف سرّه ؟ يبدو أنني نسيت أن أخبرك، هو ابن (ميرو) الخائنة، وضعتّه في ماء النهر بعد أن احترقت، منعته بجسدها أن يحترق، قدّرت له الحياة لتتعذب به في موتها، (ميرو) التي كشفت أنت سرّها من قبل والآن اذهب وافعل ما قد أمرتك .

طفتحت الذكريات الأليمة في رأس (سيرائيل)، ارتسم وجهها (ميرو) وابنها في عينيه، عاد شعوره بالخسة والدناءة الذي طالما حاول الهرب منه، وجد نفسه يفتح فمه من دون أى وعى.

: وأي ذنب اقترفه ليموت سيدي ؟

- أرى فيه وجه (ميرو)، أريد لها أن تموت أكثر.

: سيفقد وجهه إلى الأبد يا مولاي، أليس هذا كافياً .

بدت الدهشة والتساؤل على وجه الشيطان فقال في شكٍ

- أراك تدافع عن ولد (ميرو)، لمَ تريد له أن يفلت من الموت ؟

مرتبكاً :

لأنه لأنه أخي سيدي .

قطعت غضبة (إبليس) باقي الحوار:

- أخوك؟ هل أحببت هينته؟ أحببت من لا أحب؟ جرؤت على مجادلتي

أيها اللعين؟ يبدو أن في ملكي أشياءً تغيرت، اغرب عن وجهي وإلا أطفأت نارك

النجسه وافعل ما أمرتك من دون سؤال، هيا اذهب . بعدها سوف أشق

صدرك لأعلم سر قلبك المتألم لأخيه .

لم يجزء (سيرانيل) أن ينتظر في حضرة الشيطان لحظة أكثر،
انصرف من أمام ثورته، كان يعلم أن الشيطان لن ينسى الحوار الذي تم
ويعلم أن ما ينتظره أفسى من أن يتصوره، لكن شيئاً في نفسه كان يود
العودة وقول الحقيقة كلها، رغم كل شيء وأي شيء .
أما (إبليس) فقد تحولت شكوكه إلى سريريد أن يسبر أغواره .

عندما دخل (سيرانيل) على (أمون) محبسه كان الفجر قد أوشك على
الطلوع، وكان (أمون) جالساً القرفصاء مكمواً جسده إلى الجدار وكأنه
يتخفى في صخره، يدفن وجهه بين قدميه في خنوع .
عاودته ذكرى خيانتة ل(ميرو)، ولدت آلامه من جديد وضغطت بكل
قسوة على روحه فلم يعد يطيق . اعتقد أن فعلته و(ميركو) قد ماتت، لكن لا
شيء يموت، لا شيء أبداً . ناداه بهدوء لا يتفق مع نار خلقته
: (أمون) .

رفع (أمون) رأسه إليه في بطء شديد حتى بانَّت ملامحه الجديدة، قد
صاروا واحداً منهم، مسخاً لا يختلف كثيراً عن باقي اخوته، اللهم إلا حزنه الذي
بدا أصيلاً في وجهه الجديد .

كان وجه (أمون) يحمل اللعنة على (سيرانيل) إلى عنان السماء، الذي
مسخه بيده، لم يمنعه ألمه من أن ينفذ أمر الشيطان، فقد كان سيُتم الأمر
حتماً، اختار أن يفعلها بيده علّه يكون أكثر رحمة بأخيه العزيز .

بدا الحزن على نبرات (سيرانيل) بوضوح

: لا أجد ما أقوله كي يشفع لي عندك، لكن لا تحزن يا (أمون) . لا تحزن

يا.....أخي .

كانت كلمة – أخي - التي نطقها (سيرائيل) صادقة، حتى أنها قد لمست نقطة بعيدة في قلب (أمون) نفسه . فقال حزينا:

+ أترى ما قد صرت إليه ؟

: لا أقدر أنا أو أي في مملكة الشيطان أن نعصى .

+ أبوك أنت وحدك أما أنا فلا .

: أدرك كل ما تقول وأحس بنفس شعورك الآن، ربما أكثر .

+ لن تدرك إحساسي، تملك نفس الوجه لكنك لم تر غيره .

: رأيتك ورأيت غيرك من قبل، وأصابني الحزن مرتين، واحدة لك وثانية

لأخيك ابن (ميرو).

+ ومن يكون ابن (ميرو) ؟

: لا يهم ابنها، المهم (ميرو) . صدقني يا أخي، أعلم عنك ما لا تعلمه أنت .

+ لم أعد أريد أن أعرف أي شيء، لم يعد هناك معنى عندي للحياة أو

الموت .

: لكنك لا بد وأن تعلم الحقيقة . أنت ولد (ميرو)، (ميرو) التي غمرتها

وابنها بيدي هاتين في ماء (النيل) . (ميرو) التي لم يحب الشيطان أحداً قد رما

أحبها ولم يكره قد رما كرها .

+ وهل يُحَمِّلني (إبليس) كراهيته لأمي ؟

: نعم هو ذلك .

اعتقد أنها خانته مع أحد أبنائها، حفظته على صورته الجنية كما كنت

أنت، ولم يعلم أي شرٍ دبرته (ميركو) أولى زوجاته وأمي، كنت أعتقد أنني

أمنعها من أن تقتل نفسها فوجدتني أقود اثنين من أكثر من أحببت إلى

الهلاك بيدي . (ميرو) الخطأ الرقيق في دنيا الشيطان، وولدها الذي ربيته

على يدي، حافظت عليه في صورته الأصلية وكرهت الشيطان لأجله، ثم

ألقيت به في أحضان أمه ليراها الشيطان ويظن أنها تخونه مع ولدها .
اعتقدت للحظة أن السرقد احترق معها في النهر، لكن الحقيقة لا تموت أبداً
يا (أمون) . عشرون عاماً، وأجدني الآن أكرر نفس فعلتي التي هربت منها
سنوات، وخاصمت لأجلها (ميركو) حتى النهاية، أمرني (إبليس) أن أغمرك في
نفس النهر عند الفجر لا لشيء إلا لأنك ولد (ميرو) . (ميرو) التي راحت ضحيةً
لشري، وشر (ميركو) أمي .

كانت الكلمات التي نطق بها (سيرايل) غريبة على أذن (أمون)،
وعجبية أيضاً .

+ أي قصة شيطانية ترويها يا (سيرايل) ؟

: هذه هي الحقيقة يا (أمون)، خرجت من بطن (ميرو) التي حملتك
وحفظتك من الماء، بدأت القصة حين ألفت بك الأقدار عند (إيجي)، والآن
قاربت على الانتهاء . أتعلم ؟ كنت أعتقد أن (إبليس) قد نسى (ميرو)، لكنني
فوجئت أنها مازالت تتلبسه، بل وأجزم أنه لن ينساها، خلقت العذاب لأبي
ولنفسى حتى النهاية .

لم يكن يعلم كنه الإحساس الغريب الذي اعتراه، هل يمكن لابن
الشيطان أن يندم على فعلة شريرة، إن الندم ملمحٌ من ملامح الخير، فكيف
ينبت الخير في كتلة من الشر الصافية، ربما أنه لم يكن شراً صافياً، وربما
أيضاً كان أبوه اللعين، فكل بني جنسهم يعلمون أن الله موجود بل وأكثر من
(بني آدم) أنفسهم، إن جزءاً محاه (إبليس) من نفسه ونفوس أبنائه أيضاً، لا
لشيء سوى تنفيذ العقد المبرم بينه وبين خالقه، لكن لا شيء يزول كاملاً،
الخير لا ينتهي .

+ عجيب أنت يا (سيرايل)، إنه لا يتألم لذنبه إلا من كان يحوى قلباً في

صدره .

: أنا مخلوق وأى مخلوق يملك واحداً، لكننا نذكره أو نتناساه حسب هوانا .

+ لكنك شيطان !

: وحتى الشيطان الأول لم يزل قلبه يؤلمه، ويود أن يقتلك علّ الألم يزول في تلك اللحظة فُتِح الباب، وبدا (إبليس) واقفاً في سُدَّتِه، جمر عينيه يلتهب ويبعث برسالة من الجحيم، كان قد سمع كل شيء، من البداية وحتى النهاية .

كان مشهد (سيرايل) ينطفئ، وصوت صرخاته ترج الكون مفرغ، لحظتها علم (أمون) أي شيء يكونه الشيطان. بدت الرحمة مزروعة من روحه وهو يصرخ فيه

: اللعنة عليك، اللعنة على كل شيء، فلتذهب للجحيم أيها القدر، مسختك بيدي ولا أحداً غيرك، كنت أرى الغضب في عينيك، اكتشفت الآن أنك أنت من مسخني بالفعل، زرعت العذاب في روحي والآن تجنيه .

كان يطفئه بيده جزءاً بجزءٍ كي لا ينتهي الألم سريعاً، لم يمنحه فرصة إلا للصراخ، صرخاته ترجو موتاً رحيماً لكن هيماء، انطفأت النار في عروق أول أبناء الشيطان وبيد الشيطان نفسه .

حين مثلت (ميركو) بين يديه لم يكن حظها أفضل من ولدها، فقد كان الشيطان ثائراً لدرجة أنها لم تجد الفرصة أن تنطق قبل أن تنطفئ. أن تذكّره بأنها الأولى، أو أنها تعشقه . كانت ناره قادمة من أسفل سافلين، فأكلت نازاً المغضوب عليهم في ثوانٍ معدودة .

دار إلى (أمون) بعينيه بعد أن استحالاً رماداً، رأى الجحيم المطل منهما خافه رغم أنه يعرف الله، ورغم أنه كان يتمنى الموت منذ لحظة .

مرّت الأحداث كالحلم على كل (المصريين)، اجتروا كل ما مرّ بهم غير مصدقين، حتى أنهم تساءلوا ما بين أنفسهم، أكانت حقيقة أم خيال ؟ أين اختفى مخلصهم وعظيمهم ؟ تكاثرت التساؤلات وما من إجابة شافية . كل ما بقى فيهم إحساس الأمان الذي خلفه (أمون)؛ قبل أن يتلعه قرص الشمس أمام أعينهم .

وجد (فرعون) نفسه أمام عرشه الشاغر من جديد، تحسسه حذراً، اشتاق إليه رغم أنه تخلى عنه مسبقاً عن طيب خاطر، وحين أحس به براحته عاودته رغبة اعتلائه من جديد، كان يخشى أن يعلن نفسه إلهاً مرة ثانية فلا يصدقه شعبه الذي رأى أسطورة المجنح، أو يعود (أمون) من غيبته .

عندما تجرأ وجلس عليه، نظرفي الوجوه المتحفزة وأعلنها صريحة أن -
المجد ل(أمون) إلها المعظم.-

وجد مخرجه بذلك الهتاف الذي رده الشعب جميعه من وراءه . شقت ابتسامهً طريقتها فوق شفاة (نف سور)، وأضاء وجهه من جديد، فإن مات (فرعون) فلتبق سيرة (أمون) ليحوز مكانته ككبير الكهنة، إلى الأبد .

التم الجنون غالبية عقل (ساهي) المسكينة وأعيها السهر، عجز كل الأطباء الكهنة وحتى السحرة العظام، واستحال شفاؤها . أسلمت عينيها إلى قرص الشمس تتأملها من الشروق وحتى تأفل، لا تحول نظرها عنها للحظة، غير خائفة من أن تسرق الشمس نور عينيها، لم يجف نهر دمعها للحظة حتى حين يخفت صوت نحيبها، ظلّت على حالها رغم بكاء (نانا) وأمها، وحين يأس (نف) من الشفاء نذرها عروساً ل(النيل)، حين علمت بالخبر جفت دمعاتها، فقد كان ذلك أقصى أمانها من بعد (أمون) .

ألقت (إيجي) بصرها في قلب (النيل)، تأملته من حيث كان (أمون) يراه، عندما رأته بعينيه شعرت أنها تراه لأول مرة، الاعتقاد يسرق ملامح الأشياء من أعيننا، وقد اعتادت أن تنصب صومعتها على ضفافه فبات غير مرئياً لها، الآن عادت الصورة ترتسم أمامها من جديد، نفس الصورة التي عشقها ولدها وحببها .

حدثت نفسها :

لك الحق يا (أمون) أن تعشقه، منذ أن جننت لم أعد أرى غيرك، خطفت بصري عن سواك فصار كل الوجود متشابهاً، نسيت كل شيء من حولي ، فاق جمالك كل ما دونه حتى أنا أمك..... قد..... عشقتك .
كانت كلمة العشق تخرج من بين شفيتها غارقة في الدموع، لأول مرة تصدق خطيئتها، تلك الخطيئة التي أنهت الحكاية بأكملها، رغم أنها لم تكن هي البائدة .

: لم أتحمل اختبار ربي لي وفشلت .

أحببتك من دون وعي كما أحبك كل الذين قد رأوك، أقسم أنني لم أقصد شيئاً مما جرى، لم أقصد أن أسلمك للشيطان، كيف يجوز لي وأنا أكثر من أحبك فوق هذه الأرض، إنه قلبي الذي أغواني عندما رأى (ساهي) تحضن ذراعك، ربما كانت الوحدة تخفي العشق وحين رأيتها ظهرت والتهب قلبي، الآن سأكفر عن خطيئتي وأطفيء قلبي، سأرتعي في أحضان من عشقت وربما تقابلنا ذات يوم يا ولدي،..... وحببي .

نزلت إلى الماء بخطوات متثاقلة، أسلمت جسدها، شعرت بذنوبها
تغتسل بماء (النيل) الطاهر، فارتسمت ابتسامة رضا فوق شفتمها، مضت
تشق طريقها في الماء، والماء يعلو من حولها، كأن (النيل) كان منتظراً تلك
اللحظة منذ أن سُقَّت الأرض عنه .

ربما كانت خِلقة (إبليس) من النار هي ما أحرقت قلبه، لم يكن ذلك
النوع من المخلوقات التي تشعر بذنوبها، لكنه وفي تلك اللحظة بالذات شعر
بإحساسٍ لم يصادفه إلا مرةً واحدة من قبل .
لحظة سقوطه .

حينها شعر بأنه أذنب في حق نفسه، والآن يشعر بالذنب مرة أخرى ولكن
في حق غيره، ربما الحب الذي اكتشفه يرعى بين جنبيه بعد رحيل (ميرو)، أو
بعد أن ظلمها هولسببٍ واهٍ .

هدأت عاصفة غضبه قليلاً بعد أن أفرغها في (سيرايل) وأمه، لكن ناره
لم تزل حارقة. جلس يتأمل وجه (أمون) الجديد الذي منحه إياه وجه
الشیطان .

لم يكن وجه (أمون) الجديد هو ما يشعره بالذنب فقد اعتاده على كل
ذكور إنما صرخات (ميرو) التي عادت من موتها، ملامحها الفزعة، التي لم
تعفها من عذابٍ امتد من مشرق الشمس وحتى مغربها، قلبه الذي تكسَّر
فتاتاً بيده، والذي كان ضحية لأقرب أقربائه .

وجد نفسه ينطقها لأول مرة

: ولدي

تعجب (أمون) تلك الطريقة التي نطق الشيطان بها، وطريقة وصولها إليه، إنها كلمة ليست من أصل الشيطان أبداً .

= أي ولدٍ تقصد ؟ لست ولدٌ لأحد .

: كنت من لحظات سأطفيء نارك لو نطقت بمثل هذه الكلمات في وجهي، لكفي الآن سأمنحك الفرصة لتثوب إلى رشدك مرة أخرى، ولتعرف أنني أنا أبوك الذي منحك الحياة منذ البدء، أنت نطفتي، قبولك أو رفضك لن يغير من الحقيقة شيء .

= ربي وربك هو من منحني الحياة وهو الوحيد الذي يملك أن يستعيدها وقتما شاء، ليس لك من الأمر أي شيء .

أشأطته كلمات (أمون) حتي عادت نبرته قاسية كما هي دائماً .

: أي رب هذا ؟ ربك الذي لعني لأجل حفنة من التراب، لعني أنا من قبَلتُ الأرض تحت قدميه آلاف السنين، كنت أصدّق عابديه وأورعهم، والآن أسقطني ليختبر ابن (آدم) بي، أنا مجرد اختبار، سلبني مجرد أن أحيا حياةً على هواي .

= هي إرادته فمن يراجعه فيها .

: أنا أراجعه .

= ومن تكون في ملكه كي تراجعته؟ ماذا تحيط من علمه لتراجعته؟ من

أنت منه لتراجعته؟

صمت الشيطان لحظات، كان يسترجع كل ماحدث منذ البداية، وحين

عاد لسانه قال :

أعلم كل ما تقوله بل وأكثر، أعرف عنه ما لا تعرفه أنت أو غيرك من (أبناء الطين)، أعلم أنه القوي والخالق والقادر، لكنه ظالم حين لم يعدل معي .

خلقتى لأعصيه وهو يعلم، قلت - لن أسجد إلا لك لأنني أعرفك ولا أعرف (ابن الطين) هذا - فلعني ومسخي، لم يُخَلِّ بيني وبين (آدم) وفتح طريق الجنة لي لأوسوس له، حمّل أبناءه إثم أبيهم من دون ذنب ثم نذرني إلى النهاية، هورتب كل شيء وما على الخلق إلا تنفيذ إرادته ثم يعاقبنا بعدها . هل مازلت ترى في أي من أفعاله العدل ؟

إنه يستمتع بألمي وألم المساكين من (أبناء الطين) .

= وما قد يكون عقلك لتحكم على الله ؟ عقلك القاصر الشرير الذي يهيء لك أنه قادر على استيعاب العدالة المطلقة .

: أراد كل ما جرى ويجرى ورثب له .

= لا يُسأل عما يفعل وكلنا مسؤولون .

: سقطتُ لخطأ واحد .

= وأسقط (آدم) لخطأ واحد .

: لعني حتى النهاية .

= وأنت لم تحاول أن ترفع اللعنة، لم تصحح خطأك للآن .

: حرّم على جنته .

= حرّمها على كل الخاطئين .

: لن تدرك أي شيء عن ظلمه لي .

= وأي شيء لأدركه ؟

كانت إجابات (آمون) المتمردة على كل أسئلته تنفخ النار فيه وتزيده اشتعالاً، لم يتخيل أن يحمل أي من أبنائه كل هذا الإيمان، حتى أن إجابات (آمون) لم تكن إجابات بالشكل الحقيقي، لكنها كانت نوع من التسليم هو فقط من يدرکه، أدرك أنه لا فائدة من الجدال مع من في مثل عقيدته .

كان يحاول حتى النهاية أن يحفظ عهده الذي قطعه بنفسه و لنفسه،
لكن البركان ثار ولم يتحمّل الحجاب فاحترق .

خلع (إبليس) عنه حجابيه، بدت صورته في عيني (أمون)، لم يتحملها
فأغلق عينيه وأدار رأسه بعيداً نحو أي جانب لا يحمل صورته الممسوخة .
لم يكن (أمون) يتخيل أن يخفى الحجاب وراءه كل ذلك القدر من
البشاعة .

صرخ فيه (إبليس) :

هذا ما لن تدركه لا أنت ولا أي مخلوق آخر .

هذا أنا، هذا ما صيرّني عليه ربك العادل، حتى أنت ولدي لا تحتمل
مجرد النظر إلىّ رغم أني مخلوق من مخلوقاته، أمعن في مسخي وتلذذ به إلى
أن كرهت ذلك الجسد الذي حبسني فيه، هيا أدروجهك لترى فعلته بأبيك .
لم يقدر (أمون) حتى وهو يتحداه، فقد كانت الخلقة جد بشعةً لا
يمكن لعين أن تنفتح فيها، لتصفها .

: أهذا عدل ربك ؟ هل عاقب أي من مخلوقاته كما عاقبني أنا ؟ إذا
كنت ترى في فعلته أي قدر من العدل فهيا اقترب وقبّلي، قبّل أباك يا (أمون)
صاح (أمون) مشمئزاً يللم أنفاسه المتهدجة إثر صدمة النظرة الأولى
= ليست صورتك ما تمنعني . إنه ربي .

: ليست صورتني ؟!

(مستهزأً)

بالفعل ليست هي، هيا قبلي يا ولدي، قبل أباك، ألم يأمركم بذلك ؟
أن أطيعوا والديكم . أعلم أنك لن تفعلها حتى وإن تبعني وأنا أقدر هذا .
هوربك الظالم لأبيك، ربك الذي تلذذ بلعنتي، ربك الذي حافظ علي نطفتي
ليعذبني بماضئ، بالفعل هوربك .

= لن تدرك الحقيقة مادمت تريدها بعقلك فقط .

: وهل سيحاسبني إلا عليه ؟

= خلقه لتعرفه به لا أن تحكم عليه به . تعلم أنه مخلوق لا يدرك

المطلق لأنه لم ينكشف بعد وتصر أن تدركه به، وإلا فلتخبرني، ما هو الغضب

المطلق ؟ الخير المطلق ؟ الشر المطلق ؟

خرجت كلماته كحجم بركانٍ غاضبٍ

: أنا الشر المطلق في كل الأزمان .

= صدقي لست أنت . كان يقدر أن يخلق من هو منك أشر، من لن

يجادل في الأولى حتى، من لن يسجد قبل أن يعصى، ومن لن يتذكره بعدها .

منحك من العقاب على قدر يسر طلبته - اسجد لأدم - أليس سهل لتخلص

من لعنتك ؟

: حفنة التراب ؟ أقسم به هو أبداً لن أفعلها .

= صدقني أنت تحمل المسخ في عقلك لا في جسدك .

غير (إبليس) من نبرته فبدت حانية

: (أمون) . هذا أنا أبوك . أفتح قلبي إليك أن أطعني وسأجعل الدنيا

بكل ما فيها طوع أمرك، سأذكرك كما ذكي هو (آدم) .

= تفتح لي قلبك ؟! وهل تملك واحداً ؟

: وهل من مخلوق بغير القلب ؟ حتى الجبال التي قدت من الصخر

تخشاه، أو تخشاه بغير القلب ؟ ملكت واحداً من قبل تحجّر حين لعني،

وجئت أنت لتعيد إلى ذكرى من أشعرتني به للمرة الأولى بعد السقوط، لو

كنت أعلم الغيبَ

= لو كنت تملك واحداً ما صرتُ مسخاً .

: مسختك لأنك ابني، مسختك لتشبيني .

= وهل أنا أشبهك حقاً ؟

لم يقدر (إبليس) أن يجيبه، فما من شيء يمكن أن يشبهه، كان يعلمها حتى وهو يمسخ أبناءه، لن يشبهوه حتى وإن شاء .

= ما نابني إلا الألم .

: منحتك إياه ربما كنت أحمل الغل حين فعلتها، لكن صدقني كنت لأفعلها حتى بعد أن بانَت الحقيقة، كنت سأفعلها لتدرك الحقيقة .

الألم هو الترنيمة الأولى للنهاية، كنت أعتقد أنني عرفت طعم الألم حين رأيت أبي ينطفي أمام عيني، لكني اكتشف الحقيقة بعدها، أحسسته أول مرة حين واجهت خلقتي الجديدة، من وقتها وأنا أنتظر النهاية . بدت بعيدة أول الأمر، لكنني وبعد أول إحساس بالألم أحسها أقرب مما يتخيل الجميع، أنتظرها بين الآن والآخر، وألمي الأخير قرّبها أكثر وأكثر .

= إن كانت نهايتي قد بدأت فدعني لها وحسب .

قال في استسلام واضح، لم يُر عليه من قبل .

: حسناً يا ولدي . اعبد ربك كما تشاء، لن أمنعك عبادته، لكن دعني بقربك أمنحك من الدنيا قدر ما تشاء، دعني أكفّر عن ذنبي في حق (ميرو) الوحيدة التي أحببت . زوجتي، وأمك .

كانت كلمات الشيطان تبدو صادقة ل(أمون) فقال

= ان كنت تريد أن تكفّر عن ذنبك بالفعل في حق (ميرو) فحقق لي

رغبتني .

: سل ما شئت يا ولدي .

= دعني أذوب في ماء (النيل) .

: تفضل الموت على أن أبقى جوارك !؟

= أفضِّل الموت في أحضان من أحب، لن أقدر على العيش بدون وجهي الحقيقي .

دعني أختار نهايتي مادامت قد بدأت . أرجوك إذا كنت قد ملكت قلباً من قبل كما تقول لئلا أتركني للنهر فإننا عاشقين منذ زمن بعيد .

رغم أن (إبليس) كان محتاجاً لوجوده، لكن الإصرار المطلق من عيني (أمون) أخافه أن ينفذ حياته بنفسه إن حرَّره، وجد أنه لا مفر من أن يلبي رغبته، اختار أن يفعلها له بدلاً من أن يفعلها (أمون)، على الأقل سيذكر أنه حقق شيئاً لابن (ميرو) حتى وإن كان الموت .

نادى في أبنائه بصوته الجمهوري :

تجمعوا شياطين الأرض .

دوت صيحته في أرجاء الدنيا واهتزت لها الأرض، نظر إلى (أمون)

: لتكن بإرادتي يا بني، ستكون نهايتك عظيمة . نهاية يستحقها ابن

(ميرو) وولدي .

ضاقت الأرض بشياطينها، تجمَّع أبناء الشيطان في موكب لم يُشهد له مثيل من قبل، ملأ الدنيا طولها وعرضها، قاده (إبليس) بنفسه بعد أن عاد خلف حجابِه، توجه الراكب المهيب إلى (النيل) .

كان (أمون) فوق محفته يبدو كملك لا يُقهر، كسيدٍ يعلو الرؤس، وحين انتصب واقفاً شهده كل من حضر، شياطين كانوا أو بشر، لمعت الشمس في عينيه، لم تخشَ مسخه، كانت لا تزال تعرفه وكان يداري جسده عن الأعين تحت رداء أحمر ناري اللون، قيل فيما بعد أن (إبليس) خاطه

بنفسه وصبغه من جحيمه، تأمل صفحة (النيل) الرائقة فلم تعكس صورته، لكن هذه المرة احتراماً لأجمل من أطلّ في تلك الصفحة من قبل . بدأت الشمس تنطفئ في قلب الماء رويداً رويداً، وقبل أن تغرق في أحضانه أدار (أمون) عينيه صوب السماء قائلاً

= لأجلك يا إلهي أنتهي عابداً لك، أرجو مغفرتك فاغفر لي ولأمي (إيجي) التي علمتني كيف أحبك حتى النهاية، إلهي أدرك خطيئتي، والآن أظهر منها .

التفت إلى الماء

= لم يكن بيبي وبينك أيها (النيل) إلا الجسد والآن أخلص منه .

قفز (أمون) من فوق منصته إلى الماء حيث نقطة التقاء الشمس ب(النيل)، لحظات حتى فار الماء كأنه يتألم ل(أمون) الذي حقق أمنيته بأن يدوب في ما أحب، وأكد كانت أمنية (النيل) أيضاً .

حين شهد (المصريون) المنظر هالهم ما رأوه، كان مشهداً عظيماً بحق، جحافل من غير الإنس بكامل لباس حرهم يسدون الأفق أمام عيونهم في مشهد هو الأول والأخير، ومحنة ملكية ينزل من فوقها واحد ليرتمي في قرص الشمس الغريق، لم يتساءلوا من هو فقد كانت أسطورتهم لم تزل حاضرة، ذلك المجنح الذي منحهم فرصة جديدة للحياة ثم غادر، سجد كل الوقوف على جانبي (النيل)، وصاح أحدهم

- المجد (لأمون) إلهنا العظيم .

تبعه الشعب بأكمله، فلم تعد هناك (إيجي) لتخبرهم أنه ليس إلهاً . أشار الشيطان إلى أبنائه فخروا سجداً، لم يشأ أحد أن يكرر الخطيئة الأولى، انحنت جباههم فلم ير أي منهم تلك الدمعة التي تحدّرت فوق وجنة الشيطان .

"تمت"